

الويل لي إن لم أبشّر

شهادة ميلاد أبي خليل

جمعه ووضع حواشيه
مكاريس جبور

مقدّمة

منذ زمن بعيد وأنا أفكر بجمع مؤلفات الأستاذ شحادة أبي خليل التي لا تزال مخطوطة، ووضعها في كتاب نظراً لأهميّتها الروحيّة والأخلاقيّة والدينيّة. في الحقيقة، يشكّل هذا الكتاب مرجعاً هاماً في حقل اللاهوت والكتاب المقدّس، وكان لا بدّ من نشره.

على الرغم من غزارة المواضيع التي بحثها الأستاذ وكتب عنها، اكتفيت في الوقت الحالي بانتقاء البعض منها ونشره، على أمل أن تنشر البقيّة في وقت لاحق.

إنّي واثق من أنّ القارئ سيجد في هذا الكتاب البسيط في الأسلوب والغني في المحتوى، أجوبة على أسئلة كثيرة تجول في أذهان الكثيرين من شباب اليوم. إنّي أقدم للأستاذ الكبير هذا الكتاب هديّة نابعة من قلب محبّ ومن وجدان مدرك للدور العظيم الذي لعبه شحادة ولا يزال في سبيل أبنائنا المسيحيّين. وأرجو أن يستفيد منه كلّ باحث وطالب علم ومعرفة.

وباسمي وباسم الأستاذ شحادة أتقدّم بالشكر والعرفان بالجميل من جميع الذي أسهم في نشر هذا الكتاب، وأخصّ منهم بالذكر السيّد دافيد جهشان وعائلته، رهبانيّة القديس فرنسيس الثالثة للعلمانيّين فرع جونية، السيّد كريمة سكاف-إبراهيم وعائلتها، السيّد جوزف عودة وإخوته، والأنسة لورين باسيل. وبدوري أقدم لهم هذا الكتاب هديّة، كافئها الربّ جميعاً وعوّض عليهم تعبهم وعطاءهم بالخير والبركة والصحة.

الخوري مكاريوس جبّور

الفصح اليهودي وارتباطه

بفصح المسيح

مقدمة

بعد أن وقع الإنسان في خطيئة المخالفة، وغدر بالرب¹، وراح يعمه في حياة الشقاء أدرك أنه عريان²، فالتمس ورق التين³، فلم تعطه شجرة التين سوى "أوراق عارية من كل ثمر"⁴، فراح يلتمس له مخلصاً يخلصه من ورطته، فلم يجد في الطبيعة التي التجأ إليها، سوى الشوك والحسك⁵ إذ تغيّرت عليه وأنكرته، فجاء إلى الحيوانات التي كان متنسلاً عليها⁶، فنفرت منه، فعاد إلى الله نادماً، فوعده الله بالمخلص، الذي سيسحق رأس الحيّة⁷، ويخلصه من قيوده التي كبله بها الشيطان، و"يسمر الصك، الذي كتبناه نحن مع آدم على أنفسنا، بعد أن يحويه ويمحو ما عليه وما فيه من أحكام على الصليب"⁸.

1 معنى كلمة فصح

إذا عدنا إلى اللغة السريانية والعربية نجد أن كلمة "فصح" ومشتقاتها تدلّ على الإفصاح، أي التعبير عن قول أو عمل، وبالمعنى الواسع تدلّ على التحرير والانطلاق بحرية والعبور من أرض الشقاء إلى أرض الحرية والرخاء، أو الخلاص من العبودية.

¹ عدد 5/5.

² تكوين 7/3.

³ تكوين 7/3.

⁴ متى 19/21.

⁵ تكوين 18/3.

⁶ تكوين 26/1.

⁷ تكوين 15/3.

⁸ كولوسي 14/2.

والخلاص هو سبب الفصح. وهذا العبور قد دام على مراحل حوالي أربعين سنة⁹ والإنسان ينتظر راجياً الخلاص ومجيء هذا المخلص...

أصبح هذا العبور، في الفكر اليهودي وفي الفكر المسيحي، مثلاً ومعنى لكلّ خلاص من أيّ مأزق، أو كلّ نجاة يصنعها الله لخير الإنسان. والعبور أو الخروج من الضيق إلى الخلاص هو دلالة على ولادة جديدة، كالمعمودية التي تدلّ على الولادة الجديدة بالمسيح "إن لم يولد الإنسان من الماء والروح لا يستطيع أن يدخل ملكوت السموات".

2 سبب إقامة الفصح

قبل أن نتحدّث عن الفصح، علينا أن نتحدّث ونرى السبب الذي من أجله صار الفصح، لدى اليهود، عيداً كبيراً وعظيماً¹⁰، مع أنّ الفصح يعود تاريخه إلى ما قبل العبرانيين، إذ كان بعض قبائل الرّحل يحتفلون بقدوم الربيع واكتساء الأشجار بالأزهار والأرض بالأعشاب، وتلد قطعانهم الحملان والجداء، فيذبحون حملاً صغيراً يشكرون بدمه الآلهة، أو الله تعالى، حسب ما كانوا يعتقدون إمّا لأنّهم تخلّصوا من فصل الشتاء البارد وتخلّصت مواشيهم من الوباء أو غير ذلك، ومن هذا القبيل نرى نوحاً، بعد أن تخلّص من الطوفان، يقدّم ذبيحة فداء من الغرق ومن الموت مع عائلته¹¹، وإبراهيم قدّم الكبش الفدية ذبيحة فداء للربّ، لأنه خلّص ابنه اسحق من الذبح¹²، وتوالت هذه الذبائح جيلاً بعد جيل، كما نرى في التواريخ وفي الكتاب المقدّس...

بعد أن تحرّرت مصر من الملوك الرعاة، أخذ الفراعنة يضطهدون اليهود أو العبرانيين اضطهاداً قاسياً، ممّا جعل موسى النبي يُخرج العبرانيين من أرض مصر

⁹ راجع الخروج والعدد وتنشئة الاشرع.

¹⁰ يوحنا 31/19.

¹¹ تكوين 20/8.

¹² تكوين 13/22.

بطريقة إلهية، فكان أن أمر الله موسى، بعد أن تخلّصوا من العبودية المصرية، وأضحوا أحراراً مستقلين عن كلّ حكم أجنبي أو غريب عنهم، بأن يقيم عيداً دعاه "عيد الفصح" أي عيد الحرية، وكان ذلك في اليوم الرابع عشر من شهر أبيب¹³، ويدعى شهر الاسبال، ويوافق شهري آذار ونيسان (على اعتبار الشهر القمري، وكان هذا الشهر أول الشهور في الروزنامة القديمة، ودعي بعد السبي (ما بين سنة 538 - 521 ق.م.) بشهر نيسان، وهذا العيد يكون إنّ ربّ كلّ عائلة يأخذ حملاً في اليوم العاشر من شهر نيسان القمري، ويحفظه إلى اليوم الرابع عشر من الشهر ذاته القمري، وفي ذلك اليوم يذبحونه ويأكلونه مشوّياً بدون أن يبقوا منه شيئاً إلى الصباح، وأن "لا يكسروا له عظماً"¹⁴. وهذا العيد إن يرمز على شيء فعلى معنى "الخلاص" من الأسر ومن العبودية، ومنه اتخذت أمنا الكنيسة المقدّسة معنى الخلاص أو الفصح الخلاصي الذي صنعه الربّ يسوع "طهّروا أنفسكم من الخميرة القديمة... فقد ذبح حمل فصحنا هو المسيح"¹⁵. لا يزال اليهود سوى الخبز الفطير¹⁶...

وكانت وصية أكل الفصح أن "لا يأكل منه الأجنبي، والعبد المشتري بفضة ما لم يخته مالكة، والضيف والأجير لا يأكلان منه"¹⁷. ومعناه أن كلّ من هو واقع تحت العبودية المادية والجسدية والنفسيّة، لا يجوز أن يأكل من الفصح... وفي الإيمان المسيحي، لا يجوز أن يتناول القربان المقدّس كلّ من كان واقعاً تحت عبودية الخطيئة¹⁸، وبولس يدعو كلّ "من أكل من هذا الخبز (القربان) أو شرب من هذه

¹³ تثنية 16/1.

¹⁴ خروج 12/46 وعدد 12/9 ويوحنا 19/33 و36.

¹⁵ 1 كورنثس 7/5.

¹⁶ راجع خروج 12/1-39.

¹⁷ خروج 12/44-48.

¹⁸ يوحنا 8/34.

الكأس (كأس دم المسيح) وهو على غير استحقاق" مجرمًا وعليه أن يعترف وبعده يأكل من "هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس"¹⁹...

3 الفصح المسيحي وارتباطه بالفصح اليهودي

بعد أن وعد الله الإنسان بالمخلص²⁰، دغدغ هذا الوعد قلب الإنسان وعمّره بالرجاء، وإزاء هذا الوعد راح الله يكلم الإنسان "بالرموز تارة وطورًا بالأنبياء الذين كانوا يلوحون بالخلّاص ويبشّرون به وبالمخلص العتيد"²¹. فأخذت هذه الرموز تسير من واضح إلى أوضح. ففي ظهور ملكيصادق الخبز والخمر علامة واضحة لفصح المسيح وديمومته تحت إعراض الخبز والخمر بالقدّاس الإلهي الذي هو تجديد ذبيحة الصليب، بنوع غير دموي، يتحوّل الخبز والخمر، حقيقة، لا رمزًا ولا إيماءة، ولا نكروى عارية وخالية من كلّ معنى، إلى جسد المسيح ودمه "فأخرج ملكيصادق خبزًا وخمرًا لأنّه كان كاهنًا لله العلي"²².

وفي ذبيحة إبراهيم، إذ بأمر الله أراد ان يقدّم ابنه، ولم يشفق على ابنه وحيد، فاقتداه الله بكبش²³. رأى الآباء الكنيسة في ذلك صورة حيّة عتّا نحن البشر إذ كان الشيطان يريد تقدمتنا ذبيحة له، على مذبح شروره ويستعبدنا ويجعلنا له عبيدًا بما يوسوسه لنا من وساوس... وكذلك رأى الآباء في ذبيحة إبراهيم صورة حيّة لآلام الابن الوحيد، وتضحية

¹⁹ 1 قورنثس 11/27-29.

²⁰ تكوين 15/3.

²¹ عبرانيين 1/1.

²² تكوين 18/14.

²³ تكوين 13-1/22.

الآب السماوي به "إنّ الله لم يشفق على ابنه بل أسلمه إلى الموت من أجلنا جميعاً"²⁴،
ولفرط حبّ الله لنا "جاد بابنه الوحيد لخلاصنا"²⁵...

سارت رموز فصح المسيح، في سيرة البشريّة تتوضّح أكثر فأكثر كلما تقدّمت
السنون، فإذ "ببيع يوسف بعشرين من الفضة"²⁶، رمز واضح، ومقدمة لنبؤة زكريا
"فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة فألقيتها في بيت الربّ إلى الخزّاف (السبّاك)"²⁷ فدلت
هذه الآية وبيع يوسف حرفياً على بيع يسوع²⁸، وفي كلّ هذه المراحل كان الشيطان
يتملّكنا، من جهة، والله يرينا بالرموز مخطط الخلاص...

والفصح اليهودي قد يَكون للفصح المسيحي تمهيداً حيّاً، ويشير إليه إشارة حسية
فبذبح الحمل دلالة على ذبح "حمل الله"²⁹، ويتابع يوحنا تسمية يسوع بـ"الحمل" في ما
كتب وخاصة في الرؤيا، وأشعيا يدعوه أيضاً "الحمل الذي سيق إلى الذبح"³⁰...

لم يشدّ يسوع المسيح عن قاعدة القيام بفروض الفصح اليهودي، ولكنّه حوّله من
رمز فارغ جامد إلى حقيقة حيّة، فنراه يأمر اثنين من تلاميذه بإعداد ما يلزم للفصح
وإعداد غرفة ليقم فيها الفصح اليهودي، إذ انه "وُلِدَ من امرأة تحت الناموس ليخلص
الذين هم تحت الناموس"³¹، ويحوّله من عهد قديم كان رمزاً، إلى حقيقة ملموسة وعهد
جديد لا يعتق ولا يبلى³². ومتى يصف لنا ذهاب يسوع إلى اورشليم من بيت فاجي

²⁴ روما 8/32.

²⁵ يوحنا 3/16.

²⁶ تكوين 27/37-28.

²⁷ زكريا 11/12-13.

²⁸ متى 15/26 و 3/27-8.

²⁹ يوحنا 1/29 و 36.

³⁰ أشعيا 7/53.

³¹ غلاطية 4/4.

³² راجع متى 17/26-25 مرقس 14/12-16 ولوقا 7/13.

باحتيال، لأنّ اليهود كانوا يأخذون حملان الفصح من بيت فاجي في العاشر من نيسان القمري باحتفال لتذبح في أورشليم في الرابع عشر منه ويسوع سيُصلب ذبيحة فداء عتًا في أورشليم³³.

الفصح اليهودي يدلّ على خلاص من عبوديّة ومن أسر ماديّين، يقيمه اليهود ذكرى لخلاصهم من الأسر والعبوديّة، وكانوا يجدّدونه كلّما وقعوا في أسر أو نكبة وخلصهم الله منها. وبعد السبي أصبح عيد الفصح عيدًا أساسيًا، وإهماله يعرّض اليهود للحرم والفصل³⁴. وكان اليهود يأكلون في عشاء الفصح، "أعشابًا مرّة" دلالة على مرارة العيش في الأسر والعبوديّة، وانتقالهم منها إلى "الخبز الفطير"، دلالة على تجديد الحياة والطهارة³⁵.

أمّا الفصح المسيحي، وإن بدا مشابهًا للفصح اليهودي ومتزامنًا معه من حيث الشكل، فهو دعوة شاملة لجميع الأمم ليجتمعوا إلى مائدة "عرس الحمل"³⁶، وأضحى فصح الابن الوحيد، فداء البشرية جمعاء، الذي هو حمّل الفصح الحقيقي الذي ذبح لأجلنا³⁷. وبالتالي نرى في الخروج رمزًا لحقيقة الفصح الذي جاء به المسيح كعبور البحر الأحمر، والمن والصخرة³⁸، وكما جعل موسى الدم على عارضتي الأبواب والعتبة العليا دلالة على الصليب الذي هو خشبة الخلاص موضوع فخر بولس وكلّ المسيحيّين³⁹، والذي هو "قوة الله"⁴⁰ لمن يسلك طريق الخلاص⁴¹. كذلك يكون دم المسيح "الحمل الذي

³³ متى 1/21...

³⁴ عدد 13/9.

³⁵ عدد 11/9.

³⁶ رؤيا 9-7/19.

³⁷ 1 كورنثس 7/5.

³⁸ 1 كورنثس 6-1/10.

³⁹ غلاطية 14/6.

⁴⁰ 1 كورنثس 18/1.

بلا عيب"⁴²، فداء ودعوة للعالم أجمع للخروج والعبور من الظلمة إلى النور⁴³. لذلك أمر الله موسى أن يكون حمل الفصح "بلا عيب، ذكر حولي"⁴⁴...

إنّ العهد الجديد، الذي لم يعد لشعب واحد بل لجميع شعوب العالم، قد حرّر الناس الذين لبّوا الدعوة، من حياة الوثنيّة إلى حياة الله فتطهّروا بدم حمل الفصح الكريم، دم المسيح⁴⁵...

نرى أنّ المسيح يلقّب بالحمل في أكثر أسفار العهد الجديد، كيوحنا في الإنجيل وفي رسائله وخاصة في الرؤيا. وبولس يقول: "دخل المسيح القدس... بدمه"⁴⁶...

وإنّنا بدم المسيح قد تقدّمنا. "لذلك تألم يسوع أيضًا في خارج الباب ليقدّس الشعب بذات دمه"⁴⁷، وهذا تجسيد وتحقيق للرمز الذي فعله موسى يوم رشّ على الشعب نصف الدم وقال: "هوذا دم العهد الذي عاهدكم الربّ به..."⁴⁸ أي أنّ العهد كان بين الله وبين الشعب بواسطة الدم، والمسيح قد عاهدنا بدم ذاته "خذوا كلوا منه كلّم هذا هو جسدي... اشربوا منه كلّم هذا هو دمي للعهد الجديد"⁴⁹...

إنّ فصح المسيح بدأ في الهيكل إذ أقام من جسده هيكلًا جديدًا هو جسده القائم من الموت⁵⁰. فصح المسيح هو فصح الخبز الذي كثّره⁵¹، وهو الخبز الذي سيحوّله إلى جسده

⁴¹ راجع خروج 7/12 و22 الدم على الأبواب.

⁴² 1 بطرس 18/1-19.

⁴³ 2 بطرس 9/2.

⁴⁴ خروج 5/12.

⁴⁵ 1 بطرس 19/1.

⁴⁶ عبرانيين 12/9.

⁴⁷ عبرانيين 12/13.

⁴⁸ خروج 8/24.

⁴⁹ متى 26/26-27 مرقس 14/22-23 لوقا 22/19-20 و1 قورنثس 11/23-27.

⁵⁰ يوحنا 2/19-21.

ليلة الفصح القديم وينقل هذا الفصح إلى فصح جديد دائم: "أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء..."⁵².

قد أقام يسوع عهدًا جديدًا عبر العهد الذي أقامه موسى مع الله⁵³ وبهذا العهد يرسم موته على أنه حمل العهد الجديد، وقد وافق بين موته على الصليب ذبيحة حقيقية، ولم يُكسر له عظم⁵⁴، وبين ذبح خروف الفصح، الذي لا يُكسر له عظم⁵⁵، وذلك في اليوم الرابع عشر من الشهر القمري، وهكذا افترق الفصح المسيحي رتبة وطقسًا عن الفصح اليهودي ومعنىً أيضًا، ولئن دلّ الفصح اليهودي على الخلاص، ولكنه خلاص من أسر زمني انتهى بموت الضحية و"رّش دمها على جوانب المذبح وعلى الشعب"⁵⁶، وفصح المسيح يدلّ أيضًا على خلاص، ولكنه خلاص أبدي لا تشوبه شائبة، هذا ان أتينا إليه بتوبة صادقة وقلب مستقيم.

4 أقام لنا المسيح الفصح الدائم : يوم الأحد

قام المسيح من بين الأموات في اليوم الأوّل من الأسبوع⁵⁷، وفي اليوم الأوّل من الأسبوع وجده اثنان من الرسل وعرفاه عند كسر الخبز⁵⁸. فراح المسيحيّون يقيمون ذبيحة الفصح يوم الأحد اقتداء بالرسل، أو ذبيحة الحمل، وأصبح اسمه يوم الربّ، وهذا اليوم يذكرنا بذبيحة الفداء والقيامة والخلاص من أسر الشيطان، وفيه وفي سائر الأيام نأخذ بالسير قدمًا نحو أرض الميعاد السماوي...

⁵¹ متى 14/18-21 ومتى 15/32-38.

⁵² يوحنا 6/51...

⁵³ راجع خروج 4/24-8.

⁵⁴ يوحنا 19/29-36.

⁵⁵ خروج 12/46.

⁵⁶ خروج 24/4-8.

⁵⁷ مرقس 16/2.

⁵⁸ لوقا 24/30 و 41-43 ، ومرقس 16/14 يوحنا 20/19-26 و 21/14.

وبما أنّ المسيح قد أضحى ذبيحتنا الفصحية، علينا أن نحتفل بالفصح الدائم نابذين الخميرة القديمة الفاسدة ، ونصبح فطيراً للطهارة والحقيقة⁵⁹، ونعيش معه سرّ الفصح بموتنا عن الخطيئة ، ونقوم معه لحياة جديدة⁶⁰ وندفن معه بالمعمودية وبها نقوم معه أيضاً⁶¹. فالفصح المسيحي صار أكثر جدية وأكثر قداسة ممّا كان عليه أو هو عليه الفصح اليهودي. لأنّ الفصح اليهودي هو رمز أو ظلّ الأمور المستقبلية للحقيقة التي هي جسد المسيح⁶²، وقد جاء في ذلك أيضاً قوله: "ولمّا كانت الشريعة تشمل ظلّ الخيرات المستقبلية، لا على جواهر الحقائق، فهي عاجزة أبد الدهور..."⁶³. إذ أنّ المسيح بعد كلّ هذه الرموز، قد جاء بالحقيقة الكاملة بحياته البشرية⁶⁴ والإلهية، وبصلبه بالجسد⁶⁵ وقيامته المجيدة نقلنا من الرمز إلى الحقيقة ومن الموت إلى الحياة⁶⁶...

الفصح اليهودي يقوم بذبح الثيران والعجول والخراف ورشّ الدم⁶⁷ أمّا فصح المسيح فهو دائم وقائم على ذبيحة المسيح وموته وقيامته، وهذا واضح في ذبيحة القدّاس الإلهي الذي هو امتداد لذبيحة الصليب الدمويّة...

⁵⁹ 1 قورنثس 6/5-8.

⁶⁰ روما 3/6-11.

⁶¹ كولوسي 2/12.

⁶² كولوسي 2/17.

⁶³ عبرانيين 1/10...

⁶⁴ عبرانيين 7/5

⁶⁵ 1 بطرس 3/18.

⁶⁶ يوحنا 24/5.

⁶⁷ عدد 9/19.

الروح القدس

ألوهيته - انبثاقه - عمله

تمهيد

إنّ الكنيسة المقدّسة، التي هي عمود الحقّ وقاعدته⁶⁸، منذ نشأتها أخذت تعلم بألوهية الروح القدس، كما علّمت بألوهية الابن، السيّد المسيح، وكما علّمت بوجود إله واحد مثلث الأقانيم ذي طبيعة إلهية واحدة وجوهر إلهي واحد، لا انقسام فيه ولا انفصال، وهذا الجوهر الإلهي، له عمل واحد وقوّة واحدة وإرادة إلهية واحدة، ثلوث في وحدانية ووحداية في ثلوث، وبأمره كان هذا الكون بكلّ ما ومن فيه...

لكنّ بعض الناس راحوا يتأولّون على الله تأويلات معوجّة ومنحرفة عن جادة الصواب، راحوا يتأولّون على الله ويفسّرون ما يحلو لهم، وما ينطبق على مفهومهم القاصر الضعيف، آيات الكتاب المقدس، ثم خرجوا بهذه النتيجة:

الابن ليس الله، الروح القدس ليس الله، وإنّ الابن والروح القدس دخلا في الزمان في إلهية الأب، لذلك رأوا أن إلهية كلّ من الروح القدس والابن مستعارة، وتعاموا عن آيات الكتاب المقدّس، التي تشهد بوحدانية الله وتثليث أقانيمه. فرأيت، بمعونة الروح القدس الله الناطق بالكنيسة (الكنيسة منذ البدء حتّى آخر الدهر)، أن أوضح، على ضوء الكتاب المقدس بعهديه، وعلى ضوء تعاليم الكنيسة المقدّسة، ألوهية الروح القدس، كما أوضحت قبلاً ألوهية الابن، تنويراً للجميع، ليعرفوا الحقّ والحقّ يحررهم⁶⁹.

1. الكتاب المقدس والروح القدس

إنّ الكتاب المقدّس يشدّد على وجود روح قدس ومقدّس الكلّ، ومصدر لكلّ تحوّل وكلّ تجديد في داخل الإنسان، كما نرى في قوله: "يخرج قضيب من جذع يسّى وينمي فرع من أصوله. ويستقر عليه روح الربّ، روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوّة،

⁶⁸ 1 تيموثاوس 15/3.

⁶⁹ يوحنا 32/8.

روح العلم وتقوى الرب⁷⁰. ويذكر الروح القدس حزقيال حيث يقول: "وأعطيكم قلباً جديداً واجعل في أحشائكم روحاً جديداً وأنزع من لحمكم قلب الحجر، وأعطيكم قلباً من لحم، وأجعل روحي في أحشائكم وأجعلكم تسلكون في رسومي وتحفظون أحكامي وتعملون بها"⁷¹.

2. الروح القدس هو شخص مميّز عن الآب والابن

إنّ روح الله لا يمكن مطلقاً أن يكون منفصلاً عن الآب والابن، فإنه يوحى مع الآب والابن في يسوع المسيح، ولكن له طريقته الخاصة في الوحي، كما أنّ له شخصيته المميّزة. فالابن بإنسانيته المشابهة لإنسانيّتنا⁷²، قد أوحى لنا مراراً عن وجه الآب، وعن صورة الابن. أخذنا صورة واضحة للآب⁷³، ولكنّ الروح القدس ليس له وجه على الإطلاق، ولا اسم يؤدي إلى تمثيل وجه بشري له، بيد أنّنا نشعر بوجوده، له المجد، وبتأثيره في الكنيسة، وفي الأنبياء والرسل، في العهد القديم كما في العهد الجديد على حدّ سواء. فنراه في العهد القديم بوجوه متعددة ولكنه واحد، فهو روح السلام، الذي يحلّ في القضاة، فالقضاة الذين يفعلون بروح الله، دون أن يروه، أو يلمسوه، لا يقدرّون على مقاومته، ولا يستطيعون تفسير أعماله، ونراه، له المجد، يحلّ في أحقر أبناء القرويين الفقراء، الذين هم نكرة النكرات، فيجعلهم أشهر من الشمس والقمر، ولهم الصفحات المجيدة في كتاب الله، أمثال شمشون، وجدعون وشاول، إذ وهبهم روح القوّة والقدرة على القيادة والحكم، وجعلهم يكملون رسالته بين الشعب، فحرّروه من قيود العبوديّة والذلّ. وقد أطال روح الله سير العبرانيين في الصحراء. فنراه في أصول وجذور الشعب، فعمله داخلي لا يظهر إلا من خلال أعمال البشر وتصرفاتهم التي تبدو أحياناً مدهشة

⁷⁰ أشعيا 2-1/11 و12-1/42 راجع 1 بطرس 14/4.

⁷¹ حزقيال 27-26/36، يوثيل 5-1/3، أعمال 21-17/2، أشعيا 12/32 عدد 12-25/11 (...).

⁷² عبرانيين 15/4 وروما 3/8.

⁷³ راجع يوحنا 9/14.

وغريبة، فقد عمل الروح في عتنييل: "وكان روح الربّ على عتنييل فتولى القضاء لإسرائيل..."⁷⁴ وعمل في يفتاح، "فكان روح الربّ على يفتاح فعبّر جلعاد ومنسى..."⁷⁵. والروح القدس يهب القوّة لمن يحلّ عليه، كما وهبها لشمشون⁷⁶، أو يلبسه قوّة كما ألبسها لجدعون: "وحلّ روح الربّ على جدعون..."⁷⁷.

يحلّ في الملوك:

خلف الملوك القضاء، فكان النبي يمسح الملوك، ولم تكن مسحة الملوك سوى رمز لروح الرب الذي يمسح بمسحته الجميع ويهبهم جلاله مقدّسة، كما نرى في قوله: "فأخذ صموئيل قارورة الدهن وصبّ على رأسه وقبله وقال: إنّ الربّ قد مسحك قائداً على ميراثه"⁷⁸ وكذا في مسحة داود: "فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه من بين أخوته فحلّ روح الربّ على داود من ذلك اليوم فصاعداً..."⁷⁹.

3. يحلّ في المسيح - 1: يسوع - 2: في الملوك الممسوحين - مسيح الربّ

إنّ المسحة الطقسيّة، لا تكفي بأن تقيم وتمسح ملوكاً وخداماً أمناء لله قادرين على تأمين السلام والعدالة والصلح، بل يلزم لتكميل هذه الرسالة عمل يتغلغل أكثر وله فعاليّة كبرى، وهذا العمل هو مسحة الروح القدس، التي ظهرت في السيّد المسيح حسب قول أشعيا: "...روح العلم روح الحكمة..."⁸⁰، ونرى هذا الروح يهب روح الفن لبصلائيل فصنع خباء المحضر⁸¹، كما وهب لسليمان المشورة والقوّة، ولداود مخافة وتقوى

⁷⁴ قضاة 9/3-10.

⁷⁵ قضاة 11/29-40.

⁷⁶ قضاة 14/5-6 و14.

⁷⁷ قضاة 6/34.

⁷⁸ 1 صموئيل أو 1 ملوك 1/10.

⁷⁹ 1 صموئيل أو 1 ملوك 13/16.

⁸⁰ أشعيا 2/11... وأشعيا 2/1-61.

⁸¹ خروج 31/35.

الرب⁸²، وهذه العطايا قد جعلت للبلاد التي يملكها الروح القدس تاريخًا مليئًا بالسعادة والقداسة، فتمتلئ الأرض من معرفة الرب، كما تغمر المياه البحر⁸³...

4. روح الشهادة

إنّ الروح القدس يهب الناس روح الشهادة، فشهد الرجال الذين تقدّموا الأنبياء لله بالروح القدس الذي حلّ فيهم، كالرجال الاثنيين والسبعين الذين اختارهم موسى لمساعدته وتنبأوا⁸⁴.

5. روح الرسامة والتفديس

إنّ الروح القدس إذ يحلّ في الأنبياء يهبهم الرسامة، أي الوسم المقدس، والسلطة والحكم⁸⁵ ولتبشير المساكين وجبر منكسري القلوب والتحرير للجميع، وإبدال الحزن بالفرح...⁸⁶

بعد أن رأينا، وبكلّ اختصار، الروح القدس وعمله في العهد القديم علينا أن نراه في العهد الجديد.

6. من هو الروح القدس؟

إنّ الروح القدس هو كمال الثالوث الكلي قدسه الإله الواحد. بواسطته تكلم الأنبياء، وبوحيه تنبأوا، فهو الذي يدبّر الجميع بقدرته الضابطة الكلّ وغير المختلفة عن الأب والابن، إنّما هو ذات طبيعة اللاهوت الواحد، فهو الذي ظهر لأنبياء العهد القديم، فتنبأوا بالمستقبلات وبالمسيح الآتي، وهو الذي يساعدنا في الصلوات، ويهبنا نعمة الثبات ومعرفة الله المعرفة الحقّة. وحسبًا يقول بولس الرسول: "وكذا الروح القدس يعين ضعفنا

⁸² 3 ملوك أو 1 ملوك 12-4/3 و2 أخبار 12-3/1.

⁸³ أشعيا 9/11 حبقوق 14/2.

⁸⁴ العدد 26-25/11.

⁸⁵ أشعيا 42/الخ متى 21-18/12 و10-1/11 يوحنا 34-32/1 متى 16/3....

⁸⁶ أشعيا 1/61.

لأننا لا نعرف كيف نصلي كما ينبغي"⁸⁷. والإنسان بخطيئة ورد عليه الضيق والضعف وكلّ مشاكل الحياة، كما هو الواقع، وهذا الضيق يقسم إلى تسعة أقسام:

1. الأمراض والمصائب والبلايا.
2. جهل ما يجب عمله للخلاص واتباع ما يضرّ.
3. ضعف الإرادة وتقصيرها في معرفة الذات والخيرات الأبديّة وحبّها، وترك الخيرات الزمنيّة وكرهها.
4. ضعف الذاكرة ونسيان إحسانات الله إلى الإنسان ومخالفة وصايا الله ونسيانها.
5. ضعف الروح وتقوي الجسد عليها.
6. الميل إلى الغضب وحبّ الانتقام والبغض لمن يسيء إلينا.
7. الجبن إزاء المصائب والخوف من الخوض فيها ومقاومتها.
8. الكسل والتواني في خدمة الله وعبادته والملل أو الضجر من سماع كلمته تعالى.
9. ضعفنا في الصلاة إذ لا نعرف كيف نصلي ولا نعلم كيفية الصلاة، ففي كلّ هذه نرى الروح القدس هو هو يقوينا ويصلحنا ويشدّد خطانا، ويشدّد عزائمنا ويعزّي كآبتنا ويعطينا الشجاعة لنجابه كلّ خطر وشدة...

الروح القدس هو الله الخالق المعزّي روح الحقّ، الذي لا وجود للحق بدونه⁸⁸، فإله الآب هو الحق⁸⁹ ويسوع هو الحق⁹⁰، وعليه يكون الروح القدس روح الآب وروح الابن⁹¹، قد عرفناه من أعماله في الكنيسة وفي العالم القديم ولا يزال يعمل ويجدّد في العالم الجديد، وقد أعلمنا به الرّب يسوع، وعرفناه يوم ظهوره في عماد المسيح في

⁸⁷ روما 26/8 يعقوب 5/4 إرميا 20/11 وغلطية 6/4.

⁸⁸ يوحنا 26/15 وأعمال 32/5.

⁸⁹ يوحنا 37/18.

⁹⁰ يوحنا 6/14 و17/14.

⁹¹ 1 بطرس 14/4 وغلطية 6/4 إلخ.

الأردن "وانفتحت السماوات له، فرأى روح الله يهبط كأته حمامة وينزل عليه"⁹². وعرفنا به السيّد بأته شخصيّة متميّزة عن الآب والابن، نراه في الكتابات اليوحناويّة البارقليط، والبارقليط: اسم صفة لشخص، لا اسم علم، ولا يمكن أن نصف بكلمة بارقليط غير الأشخاص، لأنّ معنى بارقليط: مدافع أو محامي، وقد سمّاه المخلص بالمعزّي: "ولكنّ المعزّي، وهو الروح القدس الذي يرسله الآب باسمي، هو يعلمكم كلّ شيء..."⁹³، وعليه نرى الروح القدس أنّه هو الله وأنّه في الوقت عينه شخصيّة مميّزة عن الآب والابن، ومساو للآب والابن في السرمديّة والأزليّة والأبدية والجوهر، وقد علّمنا السيّد عن وجود الروح القدس وأنّه الله وأنّه يواصل عمل المسيح على الأرض، ويبقى معنا إلى الأبد⁹⁴، وأنه يوبّخ العالم على الخطيئة⁹⁵، وإنّ العالم لا يطيق حمله⁹⁶، وعلمنا أكثر من ذلك: "إنّ من يجذّف على الروح القدس ليس له مغفرة لا في هذا العالم ولا في العالم الآتي"⁹⁷، وقد أوضح ذلك بولس بقوله: "لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم"⁹⁸ وأيضاً قوله: "لا تطفنوا حرارة الروح"⁹⁹... فإذا لم يكن الروح القدس هو الله وله شخصيّة المميّزة فلماذا هذه التنبيهات وهذه الوعود؟ ثمّ نستدل على ألوهية الروح القدس:

أ. من العهد القديم

1. "... روح الله يرفّ على وجه المياه"¹⁰⁰.

⁹² متى 16/3 مرقس 9/1 لوقا 22/3 يوحنا 32/1-33 إلخ.

⁹³ يوحنا 26/14.

⁹⁴ يوحنا 16/14.

⁹⁵ يوحنا 8/16.

⁹⁶ يوحنا 12/16.

⁹⁷ متى 32-31/12 لوقا 10/12.

⁹⁸ أفسس 30/4 أشعيا 10/63.

⁹⁹ 1 تسالونيكي 20-19/5.

¹⁰⁰ تكوين 2/1.

2. "كان روح الربّ على عتنييل، فخلص بني إسرائيل" ¹⁰¹.
3. "الربّ يهب القوة لشمشون" ¹⁰² "فحلّ عليه روح الربّ فقطع الحبلين" ¹⁰³.
4. "فحلّ روح الربّ على شاوول... ووهبه قوّة" ¹⁰⁴.
5. "حلّ روح الربّ على داود من ذلك اليوم فصاعداً" (وهبه قوّة) ¹⁰⁵.
6. "الروح القدس ملاً بصلائيل المعرفة والحكمة والفهم" ¹⁰⁶.
7. "يخرج قضيب من جذر يسّى... ويستقر عليه روح الربّ..." ¹⁰⁷.
8. "قال الروح القدس: تسمعون سماعاً ولا تفهمون، وانظروا نظراً ولا تعرفوا" ¹⁰⁸
فالمتكلم هو الروح القدس، لأنّ قوّة الله في ذاتيّة الله، فالله هو المتكلم والروح القدس إذن هو الله.
9. "من الذي أرشد روح الربّ أو كان له مشيراً فعلمه... فبمن تشبّهون الله؟" ¹⁰⁹.
10. "الروح القدس موجود في كلّ مكان: أين أذهب من وجهك، وروحك هناك؟ فإن تسلقت السماء فأنت فيها..." ¹¹⁰.
11. "لكنّهم تمرّدوا وأحزنوا روح قدسه فتحولّ لهم عدواً وهو حاربهم" ¹¹¹.

¹⁰¹ قضاة 10/3-14.

¹⁰² قضاة 19/14.

¹⁰³ قضاة 14/15.

¹⁰⁴ 1 صموئيل أو 1 ملوك 6/11.

¹⁰⁵ 1 صموئيل أو 1 ملوك 13/16.

¹⁰⁶ خروج 3/31.

¹⁰⁷ أشعيا 2-1/11.

¹⁰⁸ أشعيا 10-9/6 وأعمال 27-26/28.

¹⁰⁹ أشعيا 14-13/40 و 18.

¹¹⁰ مزمو 139 أو 8-7/138.

¹¹¹ أشعيا 10/63.

ب. من العهد الجديد

1. "وإذا السماوات انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وأتياً عليه"¹¹².
2. "وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السماوات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه"¹¹³.
3. "وإذ كان يصلي انفتحت السماوات ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة..."¹¹⁴.
4. "المولود من الروح هو روح"¹¹⁵.
5. "يظهر على شكل أسنة نارية"¹¹⁶.
6. "يستطيع أن يعطي"¹¹⁷.
7. "أمور الله لا يعرفها إلا روح الله... لا بأقوال تعلمها حكمة بشرية بل بما يعلمه الروح القدس" (الروح القدس يعلم، إذن هو شخصية)¹¹⁸.
8. "فلما كشفه الله بالروح، لأنّ الروح يفحص كلّ شيء حتّى عن أعماق الله"¹¹⁹ يدعمه سفر الأمثال حيث يقول: "نفس الإنسان سراج الربّ يفتّش كلّ مخادع البطن"¹²⁰ ويدعمه أيضاً قوله: "ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأنّ من عرف

¹¹² متى 16/3.

¹¹³ مرقس 10/1.

¹¹⁴ لوقا 21/3.

¹¹⁵ يوحنا 6/3.

¹¹⁶ أعمال 3/2.

¹¹⁷ أعمال 4/2.

¹¹⁸ 1 قورنثس 11/2-13.

¹¹⁹ 1 قورنثس 10/2.

¹²⁰ أمثال 27/20.

فكر الربّ أو صار له مشيراً؟" ¹²¹...

9. "كما يقول الروح القدس: "إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم، كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر، حيث جرّبني آباؤكم"، (التجربة كانت للروح القدس)، وتكون التجربة للابن أيضاً حيث يقول: "ولا نجرب المسيح (الربّ) كما جرّبه بعضهم فاهلكتهم الحيات" ¹²²، ونراها للآب: "ودعا اسم الموضع مسّة ومربيّة من أجل مخاصمة بني إسرائيل للربّ قائلين: أفي وسطنا الربّ أم لا؟" ¹²³. بولس يسمّي المسيح صخرة ¹²⁴.
10. "الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العلي تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله". (هنا نرى قدرة الروح القدس في الحلول) ¹²⁵.
11. "الذي بالروح أزلي قدّم ذاته لله... ¹²⁶" (أزليّة الروح القدس).
12. "... أمّا التجديف على الروح القدس فلا يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي" ¹²⁷.
13. "... إن أجسادكم هي أعضاء المسيح؟ أمّا تعلمون أنّ أجسادكم هي هيكل الروح القدس" ¹²⁸ والهيكل هو هيكل الله: أيّ وفاق بين هيكل الله والأوثان؟" ¹²⁹...
14. "وأنا أسأل الآب فيهب لكم معزّيّاً آخر يمكث معكم إلى الأبد روح الحقّ الذي لا

¹²¹ روما 33/11 و1 قورنثس 11/2-14.

¹²² عبرانيين 9-7/3 و 1 قورنثس 9/10.

¹²³ العدد 12-2/20 والمزمور 95 أو 8/94 وراجع خروج 17-6/7.

¹²⁴ 1 قورنثس 4/10.

¹²⁵ لوقا 35/1.

¹²⁶ عبرانيين 14/9.

¹²⁷ متى 31/12 لوقا 10/12.

¹²⁸ 1 قورنثس 6/15-19.

¹²⁹ 2 قورنثس 6/16 ورؤيا 1/11.

يستطيع العالم قبوله...¹³⁰.

15. "أما المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كلّ شيء
ويذكركم بكلّ ما قلته لكم"¹³¹ (كيف يعلم أو يذكر وهو ليس شخصيّة؟).

16. "ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحقّ المنبثق من
الآب"¹³² (الانبثاق هو كانبثاق النور من الشمس والحرارة من النور والشمس معاً) فإلله
هو الحقّ¹³³ والمسيح هو الحقّ¹³⁴... وكلّ من القرص والنور والحرارة له خاصيّة
وعمله...

17. "متى جاء (المجيء يختص بشخص) ذلك يبكتكم على الخطيئة والبرّ
والدينونة"¹³⁵ (التبكي له شخصيّة تبكت...).

18. "فمتى جاء هو، أي روح الحقّ أرشدكم إلى الحقّ كله لأنّه لا يتكلّم (يجب أن يكون
للمتكلّم شخصيّة) من نفسه بل كلّ ما يسمع يتكلّم (للسامع شخصيّة مميزة) لأنّه يأخذ ممّا
لي ويخبركم..."¹³⁶.

ج. كتاب أعمال الرسل إنجيل الروح القدس

19. "ولمّا حضر اليوم الخمسين... امتلأ الجميع من الروح القدس كما أعطاهم الروح
أن ينطقوا"¹³⁷.

¹³⁰ يوحنا 16/14-17.

¹³¹ يوحنا 26/14.

¹³² يوحنا 26/15 و يوحنا 6/14.

¹³³ يوحنا 37/18.

¹³⁴ يوحنا 6/14 و 17/14.

¹³⁵ يوحنا 8/16.

¹³⁶ يوحنا 15-13/16.

¹³⁷ أعمال 4-1/2.

20. "كان بطرس يروي هذه الأمور، إذ نزل الروح القدس..."¹³⁸.
21. "أغابس يخبر بوحى من الروح القدس"¹³⁹.
22. "الروح القدس دعا شاوول وبرنابا إلى الرسالة"¹⁴⁰. "يسوع دعا"¹⁴¹ "الآب دعا"¹⁴² "الروح يرسل شاوول وبرنابا"¹⁴³.
- هذا كما هو الروح القدس الذي له وللآب والابن والروح القدس جوهر واحد ولاهوت واحد، له المجد إلى الأبد.

¹³⁸ أعمال 10/44-45.

¹³⁹ أعمال 11/28.

¹⁴⁰ أعمال 13/2.

¹⁴¹ مرقس 3/13.

¹⁴² 1 قورنثس 7/15.

¹⁴³ أعمال 13/4.

أليشاع النبيّ

أعماله ترمز إلى أعمال الربّ يسوع

تمهيد

علينا أن نرى النبؤات التي تقدّمت مجيء الربّ يسوع بالجسد، وكيف كانت ترمز إليه. وفي بحثنا هذا نرى، من خلال حياة أليشاع النبي، الذي لم يكتب سفرًا ولم يكن مع أنبياء العهد القديم الكبار، ولا مع الصغار، ولا هو ولا معلمه إيليا، رموز المسيح. كما نرى في الكتاب المقدس من فصل 17 من سفر الملوك الثالث أو الأوّل حتى آخر الفصل 13 من سفر الملوك الرابع أو الثاني.

1. نسب أليشاع النبي

يخبرنا الكتاب المقدس عن أليشاع هذا بأنه من أسرة غنيّة، فقد كان لأبيه حقل واسع يلزم له اثنا عشر زوجًا من البقر لفلاحته، واسم أبيه شافاط، من سبط رأوبين، من قرية إبل محولة (هي عين حلوة على بعد تسعة أميال ونصف من جنوبي بيسان)¹⁴⁴، وهذه البلدة قريبة من نهر الأردن، مختصة بسبط منسى. قد يجوز أن يكون وحيدًا لأبويه، كما يظهر من نص الكتاب المقدس، وكان وجوده نحو 847 ق.م.

2. دعوته

كان أليشاع النبي في زمن يوشافاط ملك يهوذا (875-850 ق.م.)، وفي زمن عمري ملك إسرائيل (881-874 ق.م.)، في حين أنّ مملكة إسرائيل وملكها قد تحوّلوا عن الربّ إلى عبادة البعل، ما عدا سبعة آلاف ركبة لم تسجد للبعل¹⁴⁵.

أراد الله تأديبهم عليهم يرتدعون عن غيهم، فأوحى الله إلى إيليا، وقال له: "أمض في طريقك نحو بريّة دمشق، فإذا وصلت فامسح حزائيل، (معناه: رأى الله)، ملكًا على آرام"، وكان ذلك نحو سنة 845 أو 843 ق.م.؟ "وامسح ياهو بن نشي ملكًا على

¹⁴⁴ 3 أو 1 ملوك 16/19.

¹⁴⁵ 3 أو 1 ملوك 18/19.

إسرائيل" (841-842 ق.م.)، "وامسح أليشاع بن شافاط من إبل محولة بدلاً منك"¹⁴⁶.
أطاع إيليا صوت الله، وعاد إلى حيث أمره الربّ، فوجد أليشاع يحرق الحقل ومعه
اثني عشر زوجًا من البقر، وهو مع الثاني عشر. فرمى إيليا رداءه على أليشاع (الرداء
يرمز إلى الشخصية وإلى حقوق صاحب الرداء على من يلقيه عليه، ورداء إيليا اكتسب
من جسم إيليا، بنعمة الله، فعالية عجائبية¹⁴⁷، كما اكتسبت الأثواب المأخوذة عن جسم
بولس فعالية عجائبية¹⁴⁸، وهذا ما يدلنا على صحة استعمال ذخائر القديسين... فتترك
أليشاع البقر وجرى وراء إيليا، (قابل هذا مع دعوة يسوع لبطرس واندراوس ويعقوب
ويوحنا¹⁴⁹، وكيف تركوا كل شيء وتبعوه. ولمّا تحقق أليشاع من حقيقة دعوته، قال
لإيليا: "دعني أقبل أبي وأمي ثم أتبعك"¹⁵⁰ كما قال الرجل للربّ: "دعني أذهب أولاً
فأدفن أبي". ثمّ جاء أليشاع وذبح زوجي البقر وطبخ لحمهما على أداة البقر، وهذا معناه
التخلي عن الحالة الأولى¹⁵¹.

3. مسح أليشاع نبياً

نسأل: هل مسح إيليا أليشاع نبياً بالمسحة كالمملوك؟ هذا ما لم يوضحه الكتاب
المقدس، لكنّ المسحة، كما نعرف من الكتاب المقدس نفسه تختصّ بالمملوك والكهنة فقط،
كما جاء: "... وامسح هارون وبنيه وقدسهم ليكونوا لي كهنة"¹⁵²، وفيها رمز لرسمية
الكاهن في العهد الجديد، إذ يضع في يده الجسد المقدس أو يمسحها بالميرون¹⁵³...

¹⁴⁶ 3 أو 1 ملوك 15/19-16.

¹⁴⁷ 4 أو 2 ملوك 8/2.

¹⁴⁸ أعمال 12/19.

¹⁴⁹ متى 22-18/3.

¹⁵⁰ 13 أو 1 ملوك 20/19 قابل هذا مع لوقا 61/9.

¹⁵¹ 3 أو 1 ملوك 21/19 وراجع متى 22-21/4.

¹⁵² خروج 30/30 وراجع أيضاً خروج 41/28.

¹⁵³ وراجع خروج 37/29 تكريس المذابح وخروج 15/40 مسح أولاد هارون كهنة.

وفي مسحة سليمان ملكًا، قال داود: "... واركبوا سليمان ابني على بغلتي...
وليمسحه هناك صادق الكاهن وناتان النبي ملكًا على إسرائيل..."¹⁵⁴. نرى من خلال
الكتاب المقدس: أنّ النبوءة دعوة ومسحة إلهية لا يحتاج النبي مع دعوة الله له إلى مسحة
الدهن. بعد أن أكل إيليا وأليشاع ومن مع أليشاع، مضى هذا مع إيليا وكان يخدمه¹⁵⁵.

4. نهاية إيليا وولاية أليشاع

أدرك إيليا أنّ ولايته الأرضية قد انتهت، وأنّ عليه أن يمضي إلى حيث يريد
الرب¹⁵⁶، كما عرف يسوع أنّ ساعته قد أتت¹⁵⁷. سار إيليا مع أليشاع من الجبال (محلة
بين الأردن وأريحا) وقال لأليشاع: "اجلس هنا"، ويسوع قال لتلاميذه: "انتظروا ههنا
واسهروا"¹⁵⁸، لكنّ أليشاع كان يعرف ذلك، وأراد أن يستفيد من نبوءة إيليا، ويربح
سهمين: روح النبوءة وروح عمل الآيات. فإيليا لم يعمل من الآيات إلا القليل، فيما أليشاع
قد تكاثرت آياته¹⁵⁹. وكلّ آيات أليشاع تدلّ وتشير إلى المسيح الإله-الإنسان...

حملت العاصفة إيليا في مركبة نارية، فحزن أليشاع كما حزن الرسل إذ صعد الربّ
إلى السماء¹⁶⁰ فصاح أليشاع عندما رأى إيليا قد انتقل من حالة الحياة الهبولة إلى حالة
اللاهوتية قائلاً: "يا أبي، يا أبي، يا مركبة إسرائيل وفرسانه"، ثمّ لم يعد يره أيضاً،
فامسك ثيابه وشقها شطرين ممّا يفسّر اندحار المملكتين الواحدة تلو الأخرى¹⁶¹ وشقّ

¹⁵⁴ 3 أو 1 ملوك 33-34.

¹⁵⁵ 3 أو 1 ملوك 21/19 وراجع أيضاً 4 أو 2 ملوك 11/3.

¹⁵⁶ راجع 4 أو 2 ملوك 12-1/2.

¹⁵⁷ يوحنا 1/13.

¹⁵⁸ مرقس 34/14.

¹⁵⁹ راجع 4 أو 2 ملوك 25-19/2 وراجع أيضاً 4 أو 2 ملوك 44-38/4 و27-1/5 و23-1/6 الخ.

¹⁶⁰ أعمال 10-9/1.

¹⁶¹ 4 أو 2 ملوك 12-10/2.

رئيس الكهنة ثوبه¹⁶² ...

بقي أليشاع مرافقاً لإيليا النبي مدة اثنتي عشرة سنة دون أن يفارقه، وحصل أليشاع على سهمين من نعمة إيليا، ثم التقط وشاح إيليا الذي سقط عنه عند تغييره، فحمله أثنى ذخيرة.

5. الفرق بين أليشاع وإيليا

كان أليشاع أصلاً¹⁶³، فيما كان لإيليا شعر كثيف¹⁶⁴، إيليا كان يلبس منطقة من جلد¹⁶⁵، أما أليشاع فكان يلبس ثياباً عادية كسائر الناس¹⁶⁶، لم يكن إيليا يأتي إلى المدن إلا حينما تدعو الحاجة، بل نراه دائماً في جبال أو قرب مجاري المياه¹⁶⁷، أو في البرية¹⁶⁸، لم يسكن إيليا بيتاً بالمعنى الحصري، بل أقام فترة عند أرملة من صرفت صيدا (الصرfund)، فيما أليشاع كان يسكن مع عائلة شونمية في غرفة خاصة¹⁶⁹، وكثيراً ما كانت الموسيقى تحرك قلبه فتحلّ عليه يدّ الربّ فيتنبأ¹⁷⁰.

6. نبوءة أليشاع

لم يظهر أليشاع، في مدة الاثنتي عشرة سنة التي قضاها في خدمة إيليا، إلا يوم دعوته¹⁷¹ ويوم اختطاف إيليا¹⁷²، وبعد ذلك انفرد أليشاع وقد نال سهمي النعمة من روح

¹⁶² متى 65/26 مرقس 63/14.

¹⁶³ 4 أو 2 ملوك 23/2.

¹⁶⁴ 4 أو 2 ملوك 8/1.

¹⁶⁵ 4 أو 2 ملوك 8/1.

¹⁶⁶ 4 أو 2 ملوك 12/2.

¹⁶⁷ 3 أو 1 ملوك 4/17.

¹⁶⁸ 3 أو 1 ملوك 5/17 وكذلك الفصل 19.

¹⁶⁹ 4 أو 2 ملوك 13-8/4.

¹⁷⁰ 4 أو 2 ملوك 15/3.

¹⁷¹ 3 أو 1 ملوك 16/19.

إيليا، وأصبح وحده موضع إيليا¹⁷³، فاجتمع إليه بنو الأنبياء، إذ عرفوا أنه نال من النعمة ما كان لإيليا، وطلبوا إليه التفنيس عن إيليا، فلم يرد ذلك، لأنه أدرك أنّ إيليا قد انتقل إلى رحمته تعالى في العاصفة¹⁷⁴، لكنهم أصرّوا على ذلك، فتركهم وشأنهم، فسار منهم خمسون رجلاً ففتشوا ثلاثة أيام¹⁷⁵، وراحت نبوءة أليشاع تسير وتنمو، ثم أخذ أليشاع يوبّخ يورام بن أحاب على شروره¹⁷⁶. كما راح المعمدان يوبّخ هيرودس على شروره¹⁷⁷.

7. العجائب التي تمّت على يدي أليشاع ورموزها في عهد النعمة

أجرى الله على يدي أليشاع النبي أعاجيب أكثر ممّا أجرى على يدي إيليا، وهذه الأعاجيب أن دلّت على شيء فعلى ما سوف يعملهُ الربّ يسوع في زمن بشريّته¹⁷⁸، وإنّ بعضاً من هذه الأعاجيب والأعمال كانت قصاصاً لبني إسرائيل لأجل شرورهم وفسادهم، وقد جاء قوله لإيليا: "... أمض فارجع في طريقك نحو بريّة دمشق فإذا وصلت فامسح حزائيل ملكاً على آرام، وامسح ياهو بن نمشي ملكاً على إسرائيل، وامسح أليشاع بن شافاط من إبل محولة نبياً بدلاً منك، فيكون أنّ من أفلت من سيف حزائيل يقتله ياهو، ومن أفلت من سيف ياهو يقتله أليشاع"¹⁷⁹. فكان أوّل عمل قام به أليشاع أن أصلح مياه المدينة إذ وضع فيها ملحاً (والمالح هو لإصلاح الطعام)¹⁸⁰، وبولس ينصح بالقول اللطيف

¹⁷² 4 أو 2 ملوك 13-1/2.

¹⁷³ 4 أو 2 ملوك 14/2.

¹⁷⁴ 4 أو 2 ملوك 11/2.

¹⁷⁵ قابل مع لوقا 52-41/2 و 4 أو 2 ملوك 17/2-18.

¹⁷⁶ 4 أو 2 ملوك 32/6 و 2-1/7.

¹⁷⁷ راجع متى 12-1/3 ومتى 12-3/14.

¹⁷⁸ عبرانيين 7/5.

¹⁷⁹ 3 أو 1 ملوك 17-15/19.

¹⁸⁰ راجع متى 13/5 مرقس 50/9 لوقا 34/14 وراجع 4 أو 2 ملوك 21-19/2.

فهو كالمح¹⁸¹. أمّا الأعجوبة الثانية فتدلّ على غضب الله على الذين لا يحترمون الله ولا أنبياءه أو من يمثلونه تعالى، وعلى الذين يقدّمون له أوراق الطقوس العارية من كلّ ثمرة، وعلى الذين يهملون تربية أولادهم، إذ عندما كان أليشع صاعدًا إلى بيت إيل¹⁸²، إذ بصبيان راحو يهزّان به ويقولون له: "أجلح، أجلح، فالتفت إلى ورائهم (إلى مربيهم) ولعنهم باسم الربّ، فخرج دبتان من الغاب وافترستا منهم اثنين وأربعين صبيًا"¹⁸³، قابل مع قوله: "لا يكن فيك ثمر إلى الأبد"¹⁸⁴، وقابل قول بولس: "على الأسقف أن يحسن تدبير رعيّته ويجعل أولاده يطيعونه ويحترمونه"¹⁸⁵، وقابل قصاص الله لعالي الكاهن¹⁸⁶، وقابلها مع قوله تعالى: "من أكرمكم أكرمني ومن قبل الذين أرسلهم فقبلني ومن قبلني قبل الذي أرسلني"¹⁸⁷.

أنبا بنجاح حملة يوشافاط على موآب¹⁸⁸، وأفاض على أرملة إحدى الأنبياء الزيت لتفي دينها، فلا يستعبد غريم الدين ولديها¹⁸⁹، ونرى هنا أنّ الربّ يسوع قد أفاض علينا نعمته، ومسحنا بزيت قداسته وافتداننا من استعباد الشيطان لنا¹⁹⁰. أقام ابن الأرملة الشونمية، التي أضافته في بيتها، من الموت¹⁹¹، وهذا ما فعله الربّ

¹⁸¹ قولوسي 6/4.

¹⁸² تكوين 19/28.

¹⁸³ 4 أو 2 ملوك 23/2-24.

¹⁸⁴ متى 19/21 ومرقس 12/11-14.

¹⁸⁵ 1 تيموثاوس 4/3 وتيطس 1/5-9.

¹⁸⁶ 1 ملوك أو 1 صموئيل 36-22/2 ومع 1 ملوك أو 1 صموئيل 11/4.

¹⁸⁷ يوحنا 20/13.

¹⁸⁸ 4 أو 2 ملوك 11/3-27.

¹⁸⁹ 4 أو 2 ملوك 7/4.

¹⁹⁰ راجع مرقس 13/6 يعقوب 14/5 مسحة الزيت وراجع كولوسي 21/1-22 وأعمال 17/26.

¹⁹¹ 4 أو 2 ملوك 8/4-37.

يسوع إذ أقام ابن الأرملة في نائين¹⁹²، وإقامة ابنة يائيروس¹⁹³. أصلح طعام الحنظل بالدقيق¹⁹⁴، وكثر الخبزات العشرين وأطعم بها مائة رجل وفضل عنهم كثيرًا¹⁹⁵، والسيد له المجد قد أكثر الخبز مرتين وأطعم الآلاف¹⁹⁶.

أبرأ أليشع نعمان السرياني من البرص¹⁹⁷، والسيد قد أبرأ كثيرًا من البرص¹⁹⁸. وطمع جيحزى غلام أليشع بالمال، فنقل أليشع البرص إليه¹⁹⁹، وهذا مثال للاسخریوطي الذي باع معلمه طمعًا بالمال²⁰⁰، فكان أن يئس فشنق نفسه²⁰¹...

كان بنو الأنبياء يقطعون حطبًا فسقطت فأس أحدهم في البئر، فوضع أليشع عود حطب في الماء فطفا الحديد²⁰²، وهذا يدلنا على انتشار يسوع أبانا آدم من أعماق الهاوية²⁰³. ثم عفا أليشع عن الأسرى الآراميين وأطعمهم²⁰⁴، وهكذا يسوع عفا عنا وغفر خطايانا²⁰⁵...

ثم أمر أليشع المرأة الشونمية أن تترك مع ابنها بيتها وأرض عشيرتها وتذهب إلى

¹⁹² لوقا 11/7-16.

¹⁹³ متى 9/18-26.

¹⁹⁴ 4 أو 2 ملوك 4/38-41.

¹⁹⁵ 4 أو 2 ملوك 4/42-44.

¹⁹⁶ متى 14/15-21 ومتى 15/22-39.

¹⁹⁷ 4 أو 2 ملوك 5/1-19.

¹⁹⁸ متى 8/1-4 لوقا 11/17-19.

¹⁹⁹ 4 أو 2 ملوك 5/20-27.

²⁰⁰ راجع متى 26/14-16 ومرقس 14/10-11 ولوقا 22/1-6.

²⁰¹ أعمال 1/18-19 ومتى 27/3-5.

²⁰² 4 أو 2 ملوك 6/4-7.

²⁰³ 1 بطرس 3/19.

²⁰⁴ 4 أو 2 ملوك 6/22-23.

²⁰⁵ 1 يوحنا 1/9.

موضع آخر هرباً من الجوع الذي دام سبع سنين²⁰⁶. قابله مع مئى، عندما جاء ملاك الرب إلى يوسف وقال له: اذهب بالصبي وأمه إلى مصر²⁰⁷. بكى أليشع إذ عرف ما سيصنع حزائيل ببني إسرائيل²⁰⁸. وبكى يسوع على أورشليم إذ رأى ماذا سيصنع بها الأمم²⁰⁹...

مات أليشع سنة 747 ق.م. ودفن. وبعد ذلك جاء أناس ليدفنوا رجلاً هناك، فلمّا رأوا الغزاة خافوا وألقوا الميّت في قبر أليشع، فلمّا مست جثة الميت عظام أليشع عاش وقام على قدميه²¹⁰. وهذا يدلنا على كرامة القديسين وذخائرهم وشفاعتهم لدى الرب²¹¹، الناس يأخذون ما لامس جسم بولس من مآزر ومناديل إلى المرضى فيشفوا...

الخاتمة: أفكار لاهوتية

رأينا في سيرة أليشع رمز وصورة الخلاص، وكلّ ما عمله أليشع من أعاجيب كان يرمز إلى المسيح وعمله الخلاصي. جعلنا الله ننتفع بقداسة وشفاعة هذا النبي، ونسير وراء المسيح كما يجب ويليق بالمسيحي الحقيقي...

²⁰⁶ 4 أو 2 ملوك 6-1/8.

²⁰⁷ مئى 21-13/2.

²⁰⁸ 4 أو 2 ملوك 11/8.

²⁰⁹ لوقا 44-41/19.

²¹⁰ 4 أو 2 ملوك 21/13.

²¹¹ قابل أعمال 15/5: ظلّ بطرس يشفي المرضى، وأعمال 12-11/19.

هل يعترف الكتاب المقدس بالأرواح والجن والشيطان؟

تمهيد

مركب خشن قد ركبته ولا يحسدني أحد عليه، أو يتمنى ركوبه إذ هناك منذ الحضارات الأولى، علامات استفهام تتراحم وترتسم على كل شفة، وتسؤلات متدافعة متلاحقة، وازدادت في هذه الأيام، وكلها تدور حول الأرواح ككل، وتحضيرها، والتحدّث إليها، وسؤالها عن المستقبلات.

راح كثيرون من الناس، من العالم المنتهي إلى الطالب المبتدئ، يكتب في موضوع الأرواح والجان والتوابع؛ وكلهم كتبوا على سبيل الحدس والتخمين، يخبطون في هذا الحقل خبط عشواء؛ وراح بعضهم يدّعي المهارة في ذلك، ويخترع الأقاويل ويكتب التعاويذ والتمايم، ويرسم الطلاسم بخطوط معوجة أحياناً ومستديرة أخرى إلى مثثة... ويركز كل ذلك على الحروف الهجائية وحساب الجمل ويستخرج ما دعوه بالعلوم الروحانية. لذلك توضحياً للعالم ووقاية لهم من الأضاليل، التي تفتت كثيراً في هذه الأيام، وتكاثر مدّعو الروحانية، أحببت أن أركب هذا المركب الخشن، مرشداً إلى ما هو حقيقة وإلى ما هو وهم أو خيال، لا يستند إلى الواقع بشيء.

أولاً: هل للجن وجود؟

لقد اعتقد الناس، منذ القديم بوجود أرواح قادرة على أعمال خارقة لا يستطيعها إنسان ما. وقد تستطيع هذه الأرواح أذية البشر أو إسعادهم. فتعبد لها الكثيرون، وامتدّ ببعضهم الحال فألّوها هذه الأرواح، وأقاموا لها الهياكل والمعابد، يحرقون لهم أفرح أنواع العطور والبخور. وبعضهم راح يستنبت الأقسام ويستحضر بها هذه الأرواح ويستنطقوها، ويسألونها عن المستقبلات، والأرواح تخبر بما تعرف، حسب ما زعموا. ولكن من يعرف المستقبل غير الله، حتّى أنّ السيّد المسيح نفى عن ذاته البشرية معرفة

ذلك اليوم وتلك الساعة، مع أنه الله المتجسد²¹².

غصت المكتبات بالمؤلفات التي ترشد إلى استخدام الأرواح واستحضارها وشروطها، وبخورها وعطورها، وإذا سقط شرط من تلك الشروط، أو نوع من البخور فسد العمل. فاختلط على الإنسان وصعب عليه التمييز بين ما هو حقيقي وما هو غش وخداع. فراح الناس يشترونها...

قد يكتب مدعي هذا العلم عددًا من التعاويذ ويطويها بلباقة ويهيئها، حتى إذا جاء طالب مشورته بالتابعة، فيناوله تعويذة من التي سبق وكتبها، وهو يقول: "قد كتبتها لواحد لكّنه لم يأت ليأخذها فخذها أنت فهي من نصيبك" فيأخذها ذلك الطالب وهو مؤمن بها... بعد أن يدفع ما طلبه المدعي فيحصل له ما يرومه على حدّ زعمه.

لو عدنا إلى الكتاب المقدس نجد أنّ للجن وجود، ولكن الله منع ذلك منعًا باتًا: "لا يوجد بينكم... من يتعاطى عرافة ولا مشعوذ ولا متفانل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة أو يسأل الموتى..."²¹³. وأيضًا قوله: "... وأي إنسان مال إلى أصحاب التوابع والجان أي مستحضري الأرواح، والعرافين ليزني وراءهم جعلت وجهي ضدّ ذلك الإنسان وفصلته من بين شعبه"²¹⁴ وأيضًا: "لا تلتفتوا إلى الجان ولا إلى مستحضري الأرواح، ولا تقصدوا العرافين فتجنسوا بهم..."²¹⁵. ثمّ أمر الله بقتل أصحاب الجان ومستحضري الأرواح²¹⁶.

من طالع العهد القديم، مطالعة متفحص يجد ذكرًا للأرواح، وقد يسمّي هذه الأرواح

²¹² راجع متى 36/24.

²¹³ تثنية 18/10-23.

²¹⁴ أخبار 6/20.

²¹⁵ أخبار 31/19.

²¹⁶ أخبار 27/20.

جانًا، كما رأينا، وقد يسميها: "اسهمًا طائرة في النهار... وغائله تفسد في الظهيرة"²¹⁷ وفي المزمور 73 أو 14/74 يسميه لويثان. ونرى في كثير من المزامير صلوات وأدعية كلها متجهة إلى الله للخلاص. راح بعض المقسمين الحقيقيين يستعملونها في طرد الأرواح الشريرة ثم راح الناس يسألون عمّا هي الأرواح؟

ثانيًا: الأرواح

نجد في جميع اللغات القديمة، كما في لغة الكتاب المقدس أنّ لكلمة "روح" معان كثيرة، وفي كلها نراها مستوفية لمعناها المطلوب، فإن تكلمنا عن الأرواح الخيرة فنراها: "ترسل لخدمة الذين يرثون الخلاص"²¹⁸ وهي مخلوقة: "الصانع ملائكته أرواحًا وخدامه لهيب نار"²¹⁹، فالروح، من هذا المنطلق نوعان: روح صالح يهدي إلى الخير والصلاح ويقود إلى البرارة وروح شرير يجر إلى الجنون: "روحًا مستقيمًا جدّد فيّ يا الله"²²⁰.

الروح هو العنصر الجوهرى وغير الملموس في الكائن، وهو الذي يجعل هذا الكائن يعيش ويتصرّف دون إرادته؛ والروح قد يسيطر على الإنسان عندما يفرغ هذا الإنسان من الله. وقد قال الرب يسوع في ذلك: "إنّ الروح النجس إذا خرج من الإنسان هام في البرية يطلب الراحة فلا يجدها، فيقول: أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه، فيأتي فيجده خاليًا مكنوسًا مزينًا. فيذهب ويأتي بسبعة أرواح أخبث منه فيدخلون ويقيمون فيه فتكون حالة ذلك الإنسان الأخيرة أسوأ من حالته الأولى"²²¹.

قد نرى الإنسان في كثير من الأحيان واقعًا تحت سلطة قوّة غريبة، فلا يستطيع

²¹⁷ راجع مزمور 90 أو 5/91....

²¹⁸ عبرانيين 14/1..

²¹⁹ مزمور 103 أو 4/104 وعبرانيين 7/1.

²²⁰ مزمور 50 أو 10/51.

²²¹ متى 12/43-45، لوقا 11/24-26.

معها أن يملك زمام نفسه، إذ يكون هناك كائن آخر يسكنه. وهذا الكائن هو روح وقد يكون هذا الروح شريراً، كالذي سكن شاوول²²² وكالأرواح التي كان الرب يسوع يخرجها من الممسوسين.

ثالثاً: الشيطان

الشياطين، هم كائنات روحيّة شريرة، ظهوروا في الكتاب المقدّس شيئاً فشيئاً، واتّضح وجودهم بصورة واضحة أيام حياة يسوع البشريّة على الأرض²²³؛ فنرى الشيطان أنّه جاء إلى الرب يسوع، بعد اعتماده وخروجه إلى البريّة، يستطلع حقيقة أمر السيّد المسيح، إذ ظنّه إنساناً عادياً، ولكنّه إذ سمع الصوت الصادر من السماء²²⁴، حار في أمره، ولما رأى انفراد يسوع في البريّة جاءه مجرباً إيّاه، علّه يستطيع أن يسبر غور هذا الذي ظنّه إنساناً فقط، بتجارب مغريات هذا العالم الذي لا يزال يجربنا بها ونحن ننساق وراءه، وهي: حبّ المذات الأرضيّة والمسكرات وما يتبعها من شرور، حبّ الكبرياء والظهور والزهو، وحبّ المال وامتلاك الأراضي والعقارات ناسين أنّنا سنترك كلّ ذلك ونعود للوقوف أمام الله، وتبقى هذه الممتلكات في العالم²²⁵. لكنّ الرب يسوع طرده طرداً ذريعاً ولم يمكنه من اكتشاف حقيقته²²⁶.

ثلاثة من البشريّين كتبوا ما كتبوه بوحي الروح القدس²²⁷، ولا يمكن أن يكتبوا لنا وهماً أو شيئاً لا وجود له. والرب يسوع كان يخرج الشياطين أو الأرواح من الممسوسين وفصل مئى ومرقس شفاء الأمراض عن طرد الشياطين: "فطرد الأرواح من

²²² 1 صموئيل أو ملوك 14-15 أو راجع معه قضاة 9/23 وراجع 1 صموئيل أو ملوك 10/18 و 9/19 إلخ.

²²³ عبرانيّين 7/5.

²²⁴ راجع متى 13/17-13/17 ومرقس 9/11-9/11 ولوقا 3/21-22.

²²⁵ راجع لوقا 21/16-21.

²²⁶ راجع متى 11/4-11/4، مرقس 12/13-12/13، لوقا 4/13.

²²⁷ 2 تيموثاوس 3/16 و 2 بطرس 1/12.

الممسوسين، وشفى جميع المرضى"²²⁸.

الشیطان موجود، وله سيطرة على الناس ويجعلهم يقومون بأعمال لا يستطيعون القيام بها وهم في السلامة.

لقد طرد الرب يسوع جوقة الشياطين من الممسوسين في بقعة الجرجسيين، وقد حاور الشيطان يسوع وقال له: "ما لنا ولك يا يسوع ابن الله؟ أجنّت إلى هنا لتعذبنا قبل الأوان؟"²²⁹. وبالبرهان على وجود الشيطان والأرواح الشريرة هو: عندما نعت الفرسيّون يسوع بأنّه رئيس الشياطين، وأنّه بعل زبول أو بعلزبوب، أجابهم يسوع: "إن كنت أنا أطرّد الشيطان ببعل زبول فبمن يطرده أبناؤكم؟"²³⁰.

مراجع كثيرة في العهد القديم تدلّ على وجود الشيطان، في قوله: "وتلاقي وحوش القفر الضباع ويصيح الأشعر (اسم الشيطان) بصاحبه وهناك تقر ليليت (اسم لشيطان أنثى يسكن الخراب) وتجد لنفسها مكانًا مريحًا"²³¹.

أمّا العهد الجديد فمراجعته كثيرة، وكلّها تدلّ على وجود الشيطان وعلى قوّته وعمله وانكساره أمام يسوع المسيح وأمام الإنسان الذي يعيش مع الله. نذكر أنّه في أيام بولس الرسول تبعته جارية فيها روح عرافة، وبها يربح ساداتها أموالاً، وراحت تصرخ في أثر بولس ورفاقه، وتقول: "هؤلاء الرجال هم عبيد الله العلي... فطرّد بولس الروح منها... فسجن بولس وسيلا..."²³². ثمّ أولاد سكاوى السبعة، وسكاوى هذا كان أحد رؤساء الكهنة، وكانوا من المعزمين وكيف كانوا يطرّدون الشياطين باسم يسوع المسيح، وكيف

²²⁸ متى 16/8؛ مرقس 1/32-34.

²²⁹ راجع متى 28/8-32 ومرقس 1/5-20 ولوقا 8/26-39.

²³⁰ راجع متى 12/24-27 لوقا 11/15-19.

²³¹ راجع متى 14/34

²³² راجع أعمال 16/16-19 وإلى آخر الفصل.

كاد الروح الشرير يقتلهم... وكيف كان السحرة متفشييين، وكيف أحرقوا كتبهم²³³...
وسيمون الساحر الذي كان يفتن الناس بسحره وقد آمن على يدي فيلبس²³⁴، ثم بدأ يشوع
أو عليما الساحر الذي عاقبه بولس بالعمى²³⁵ وكان فيلبس يخرج الشياطين من
الممسوسين فيخرجون وهم يصرخون صراخًا شديدًا، كما شفى كثيرًا من المرضى في
السامرة²³⁶.

لقد أخذت الكنيسة المقدّسة سلطانها على طرد الأرواح الشريرة من الربّ يسوع
نفسه، حين منح تلاميذه السلطان على الأرواح²³⁷ والشياطين خضعت للرسول باسم يسوع
فيسقط الشيطان كالبرق من السماء²³⁸.

يحدّثنا بولس من "مكايد إبليس، فنكافحه بالصوم والصلاة"، تبعًا لقول الربّ: "إنّ
هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم"²³⁹، ويقول بولس: "البسوا سلاح الله
لتستطيعوا مقاومة مكايد إبليس. إذ ليس صراعنا مع اللحم والدم بل مع أصحاب
الرياسة والسلطان وولاة هذا العالم عالم الظلمة والأرواح الخبيثة في السماوات"²⁴⁰.
والمسيح يسمّى الشيطان "سيدّ هذا العالم"²⁴¹.

يخبرنا بولس بأنّ للشيطان قدرة على التحوّل، كما يريد، فإنّه "يتزيّا بزّي ملاك

²³³ راجع أعمال 13/19-19.

²³⁴ أعمال 9/8-12.

²³⁵ أعمال 8/13-11.

²³⁶ أعمال 7/8.

²³⁷ راجع متى 1/10 و8 ومرقس 15/3 و7/6 ولوقا 1/9.

²³⁸ لوقا 17/10-20.

²³⁹ متى 21/17.

²⁴⁰ أفسس 12-11/6 وراجع أيضًا أفسس 2/2 عن سيّد مملكة الجوّ.

²⁴¹ يوحنا 31/12 وراجع إلقاء الشيطان إلى الأرض رؤيا 9/12... وراجع سجن الشيطان رؤيا 2-1/20.

وقد شاعت في مشرقنا، منذ القديم، معتقدات وجود الأرواح والشيطان، بدليل واضح على وجود هذه القوى غير المرئية بما يصدر عنها في الإنسان الذي تهاجمه فيصاب هذا الإنسان باختلال في العقل، وبالهلوسة، وببقي الآفات التي نراها في عصرنا هذا، ويقدر على طردها بعض من الكهنة الموهوبين نعمة طرد الشيطان وتخليص الناس من شره. راح البابليون قديماً، وبعض الناس حديثاً، كما تقدّم القول، يستعملون التعاويذ والتمايم، وكلّ هذا بشركة مع الشيطان إذ يستعمل في كلّ تعويذة أو تميمة نوعاً من الطلسمات فيراها الشيطان فينفذ المطلوب، ولكن إلى حين وقد تدخل هذه الأعمال السحرية في الطب، وبعضهم يعزو هذا العلم إلى سليمان الذي، على ما زعموا، سخر الله له الأانس والجان...

يقرّ العهد القديم، كما رأينا، بوجود كائنات شيطانية، غير مرئية لها قوة غريبة، وإنّها تسكن في الخرائب والأماكن المقفرة. فكان اليهود يأتون بتيسين: أحدهما للاعتراف بالخطايا على رأسه وإرساله إلى البرية إلى عزازيل: "ثم يأخذ التيسين... ويلقي عليها هارون قرعتين: أحدهما للربّ والأخرى لعزازيل... ويرسل تيس عزازيل إلى البرية، بعد أن يكون قد حمّله خطاياهم وخطايا الشعب"²⁴³.

عزازيل هذا، حسب رأي المفسرين، هو الشيطان أو الجن الذي يقيم في البراري والصحاري والأماكن المقفرة، أو الملاك الساقط²⁴⁴...

رابعاً: هل الروحانيات علم أو موهبة؟

انقسم الناس، حيال المظاهر الروحانية الوهمية التي تستند على التدجيل والتدليس، والتي تستند على الحقيقة وعلى الكتاب المقدس، إلى قائل: بأنّ الروحانيات هي علم يتلقنه

²⁴² 2 قورنثس 14/11.

²⁴³ راجع أخبار 10-7/16.

²⁴⁴ راجع أخبار 10-7/16 و26.

الإنسان من غيره، بشروط وأساليب يتممها الطالب، وهذه قد يخالطها التدجيل والكذب بقصد ابتزاز المال وأسباب المعيشة. واشتهر كثيرون في هذا الفن ووضعوا في ذلك كتبًا كثيرة، وكلها لا تمت إلى الحقيقة أو الواقع بشيء.

أمّا التي تستند على الكتاب المقدس فهي موهبة إلهية محض، نستند في ذلك على قول الربّ يسوع: "ودعا تلاميذه الاثني عشر فأولاهم سلطانًا يطردون به الأرواح النجسة... وقال لهم: اشفوا المرضى، أقيموا الموتى، اطرّدوا الشياطين..."²⁴⁵. ونرى قوله: "ودعا إليه التلاميذ الاثني عشر... وأعطاهم سلطانًا على الأرواح النجسة"²⁴⁶، وفي لوقا: "دعا يسوع تلاميذه... وأعطاهم سلطانًا على جميع الشياطين وقدرة على الشفاء"²⁴⁷.

وللدلالة على الموهبة قال الربّ لتلاميذه: "أنتم أعطيتم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات، أمّا هم فما أعطوا، لأنّ من كان له شيء يعطى فيفيض، ومن ليس له شيء ينتزع منه حتّى الذي له"²⁴⁸. أي إنّ من كان قد وهبه الله نعمة الروحانيات وحافظ عليها وعلى جوهرها وقيمتها تزداد معه النعمة وتفيض²⁴⁹. وقد أوضح لنا ذلك بولس الرسول وأكده بقوله: "... ولنا مواهب تختلف باختلاف ما نلنا من النعمة: فمن له موهبة النبوة فليتنبأ وفقًا للإيمان ومن له موهبة الخدمة فليخدم..."²⁵⁰، ويوضح الموهبة أكثر بقوله: "أمّا المواهب الروحية على أنواع... كلّ واحد ينال موهبة يتجلّى فيها الروح للخير العام. فهذا ينال من الروح كلام الحكمة، وذلك ينال... كلام المعرفة والروح الواحد نفسه

²⁴⁵ متى 1/10 و8.

²⁴⁶ مرقس 7/6.

²⁴⁷ لوقا 1/9.

²⁴⁸ متى 12-11/13.

²⁴⁹ راجع مرقس 11/4 لوقا 10/8.

²⁵⁰ روما 6/12-7...

يهب أحدهم الإيمان، والآخـر موهبة الشفاء، وسواه القدرة على صنع العجائب والآخـر النبوة، وسواه التمييز بين الأرواح والآخـر التكلم باللغات والآخـر ترجمتها...²⁵¹. ويوصي بولس، أيضاً، تلميذه تيموثاوس قائلاً: "لا تهمل المواهب الروحية التي فيك، تلك نلتها بنبوّة مع وضع جماعة الشيوخ أيديهم عليك..."²⁵². ومعنى ذلك أنّ الروح القدس يهب الكاهن المرسوم بوضع اليد مواهب لا تعدّ، وكذلك الإنسان الذي وهبه الله ذلك.

أمّا يوحنا البشير فيحدّثنا من الدجالين ومحضري الأرواح بقوله: "لا تصدقوا كلّ روح، بل امتحنوا الأرواح لتروا هل هي من الله، لأنّ كثيراً من الأنبياء الكذابين جاؤوا إلى العالم... إلى أن يقول: أنتم من الله وغلبتم الأنبياء الكذابين... هم يتكلمون بكلام العالم، فيسمع لهم العالم لأنهم من العالم، أمّا نحن فمن الله، إذ من يعرف الله يسمع لنا ومن لا يكون من الله لا يسمع لنا، وبهذا نعرف روح الحقّ من روح الضلال"²⁵³ والربّ يسوع يقول لنا: "إنّ الذي يأتي من العلو هو فوق كلّ شيء والذي من الأرض هو أرضي ويتكلم بكلام أهل الأرض..."²⁵⁴. وخبر النازفة التي صرفت كلّ مالها على الأطباء، وأخيراً جاءت إلى الطبيب الإلهي²⁵⁵. وهذا كثيراً ما يحدث الآن فبدلاً من اللجوء إلى الله نلجأ إلى الدجالين ومحضري الأرواح.

خامساً: ما نشأ عن العلوم الروحانية؟

لا يفتأ الإنسان يفتش في أسرار الكون ليستطلع ما فيه من غموض وأسرار، فنشأ عن تفتيشه هذا علم النجوم: أو ما يقال له: التنجيم وهو المعروف بالعبرانية بكلمة "قسم"

²⁵¹ 1 قورنثس 11-1/12.

²⁵² 1 تيموثاوس 14/4 و2 تيموثاوس 16/1.

²⁵³ 1 يوحنا 6-1/4 راجع 1 تيموثاوس 21/5 لا تفعل عن هوى، وأيضاً 1 تيموثاوس 20/6.

²⁵⁴ 1 يوحنا 31/3.

²⁵⁵ لوقا 48-40/8 ومتى 22-20/9 ومرقس 34-25/5.

وتحت كلمة "سحر"، واستحضار الأرواح، هذه كلها قد منعها وردلها الله، كما تقدّم لنا القول: "لا يوجد بينكم من يتعاطى عرافة (تنجيم، تبصير) ولا مشعوذ ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جأناً أو تابعة ولا من يستشير الموتى (تحضير أرواح)..."²⁵⁶.

لا يجب أن نخلط التنجيم والسحر مع العلوم الفلكية التي تقوم على حساب ومراقبة حركة الكواكب، التي عرفها ملوك المجوس وبها عرفوا ولادة المخلص²⁵⁷.
شاع أيضاً استعمال العقد والربط²⁵⁸ كما جاء عن العين الشريرة والحسد (صيبة العين) التي تصيب وتفتن من تلحظه وقد جاء ذكرها في الكتاب المقدس: "الغامز بالعين يسبب الجرح"²⁵⁹، "الحسد ينخر العظام"²⁶⁰. وأيضاً قوله: "لا تأكل خبز شرير العين ولا تشته أطايبه، فإنه كما نوى في نفسه كذلك يكون... لقمك التي أكلتها تتقيأها وتضيع كلماتك العذبة"²⁶¹ وأيضاً: "خبث من يحسد بعينه... العين الشريرة تحسد على الخبز..."²⁶². وأيضاً: "لا أسوأ ممن يحسد نفسه..."²⁶³. وأيضاً: "أذكر أن العين الشريرة سوء عظيم، أي شيء خلق أسوأ من العين؟..."²⁶⁴.

وقد تلقن العبرانيون عن المصريين وعن الكلدانيين التكهن بواسطة الكأس، وهو المعروف بضرب المنزل، حتى إن يوسف بن يعقوب قد استعمل هذا العمل: "أليس هو

²⁵⁶ تثنية 18/10-11 وراجع الحكمة 4/12 والرؤيا 23/18.

²⁵⁷ متى 12/1-2.

²⁵⁸ راجع حزقيال 13/17-23.

²⁵⁹ أمثال 10/10.

²⁶⁰ أمثال 14/30.

²⁶¹ أمثال 23/7-8.

²⁶² سيراخ 14/8-10.

²⁶³ سيراخ 14/6.

²⁶⁴ سيراخ 31/14-17 و22/27 و25 إلخ.

الذي يشرب به مولاي ويتفاعل به؟"²⁶⁵ وقال يوسف لأخوته: "ما هذا الصنيع الذي صنعتُم أما علمتم أن رجلاً مثلي يتفائل"²⁶⁶. ومحترفوا المندل اليوم بأكثرهم غشاشون يبتزّون الناس. والواقع يشهد... وأشعيا رذل هذه العمال الممقوتة بقوله: "أنا الربّ صانع كلّ شيء... مبطل آيات الضاربين بالفأل ومحقق العرافين..."²⁶⁷، وأيضاً قوله مهدداً بابل: "قد أُعِينتِ من كثرة مشوراتك فليقف المنجمون الناظرون في الكواكب المعروفون عن رؤوس الشهور مما هو آتٍ عليك..."²⁶⁸. أي إنّ بابل كانت مشهورة بالسحرة وراصدي الكواكب... ولم يصدر عنهم أي شيء...

حادثة جرت مع شاوول الملك يوم ذهب إلى عرّافة في عين دور لتتكهن له بالتابعة فاستحضرت روح صموئيل، على ما جاء في الكتاب المقدس، وسموئيل وبّخه²⁶⁹. والملك منسى انجرف في تيار الوثنيّة والخزعبلات الشيطانيّة، فاستعمل الأرصاء والأوقات وضرب المندل (تفاعل) واستخدم أصحاب الجان والعرافين، ولم يكن من أمره شيء²⁷⁰.

راحت أعمال السحر والكتابة والطلاسم تتنوّع حتّى امتدّ الحال إلى تقسيم ساعات النهار وساعات الليل وجعلوا لكلّ ساعة ملكاً من الملوك الروحانيّة يحكم فيها، وفوقه ملاك سماوي يسيّره. فمثلاً: يوم الأحد بكامله، من الساعة السادسة صباحاً إلى السادسة مساءً تحت سلطة الملاك ميخائيل. وكلّ يوم لأحد الملائكة وكلّ يوم له عمله من حجابات وأرصاء وغيرها. إنّما كلّ هذه ليست بشيء أمام الله وقوّته، ولكلّ يوم أقسامه وعزائمه...

²⁶⁵ تكوين 5/44.

²⁶⁶ تكوين 12/44.

²⁶⁷ أشعيا 25/44.

²⁶⁸ أشعيا 31/47.

²⁶⁹ راجع 1 صموئيل أو ملوك 25-3/28.

²⁷⁰ راجع 4 أو 2 ملوك 6/21.

تحضير الأرواح

هذا العمل قد مقته الله ومنع من استعماله، كما مرّ معنا، وتحضير الأرواح هو نوع من التعامل مع الشيطان نفسه، وقد انتشر هذا العمل كثيرًا جدًّا، وبه يبتزّ الذي يقوم بهذا العمل؛ الناس. وكثيرون من البسطاء وقعوا ضحايا هذا العمل.

تحضير الأرواح مبدئيًا هو اعتقاد بأنّ الشخصية الإنسانية تبقى بعد الموت، وإنّ الروح تتصل بالأحياء، وهذا الاتصال يتضح في ظهور روحانية (أو عقلية)، أو في ظواهر فيزيقية، كأن يشعر الشخص كأنه طائر، أو تحركّ طاولة أو كتابة آليّة. والأصوات المجهولة المصدر. ويرجع هذا الاعتقاد إلى المجتمعات القديمة. ولتحضير الأرواح علاقة وثيقة بالسحر والأشباح وأبحاث الجن والشياطين... وفي سنة 1848 كان اهتمام الأخوة فوكس في أميركا مما يساعد على التنويم المغناطيسي، وتألّفت جمعية تهتم بالأبحاث الروحانية... وخاصة تلك التي تتعلّق في بعض الظواهر والتراخي. وفي إنكلترا وأميركا عقدت عدّة جلسات لتحضير الأرواح واشتهر كثيرون من الوسطاء الذين مارسوا الغش من حين لآخر²⁷¹.

والبحوث الروحية أو علم النفس الغيبي، أو الهامشي، يطلق على دراسة بعض الظواهر السلوكية أو الذهنية، التي تقع خارج نطاق ما تفسره القوانين الطبيعية اسم ظواهر غريبة... مع ما يصحبها من غيبوبة تشنّج وانجذاب وهلوسة... وهذه قد تحدث في جلسات تحضير الأرواح... ولا صحّة لكلّ ذلك لاحتياجها للضبط العلمي الدقيق²⁷²... ثم قاموا بنوع آخر من تحضير الأرواح بالمندل، الذي يكون بين المحضّر وبين الروح وسيط أو ناظر، على أن يكون هذا الناظر دون سنّ البلوغ... والمندل يقوم بأن يأتي أحدهم بكوب ويسكب فيه ماء أو حبرًا أو زيتًا ويجعل الناظر ينظر في الكوب ويخبره بما يرى في حين يقوم المحضّر بتلاوة العزائم وقد كان هذا النوع متفشياً قديمًا كما رأينا في

²⁷¹ الموسوعة العربية الميسرة صفحة 496.

²⁷² الموسوعة العربية الميسرة صفحة 330.

بحثنا²⁷³... وعن تحريم الربّ لهذا العمل²⁷⁴.

سادساً: الأبراج

إنّ استخراج الأبراج بدعة ليس لها أي أصل حقيقي يستند إليه الإنسان، وبالتالي فإنّ مستقبل الإنسان لا يعلمه إلا الله وحده، والإنسان الذي يستطيع تهيئته ويعبّد طريقة بنفسه. وقد كثر مؤلفو كتب الأبراج وراحوا يبيعونها للكسب فقط، ومن يقرأ بتمعّن وتمحيص هذه الكتب لا يجد في ذاته شيئاً مما هو فيها... لناخذ مثلاً عدّة رجال أو نساء ولدوا في يوم واحد وفي ساعة واحدة، بالطبع لهم برج واحد، فنرى أنّ واحداً منهم أضحى فقيراً مملقاً وآخر مفرطاً وآخر عالمّاً والآخر جاهلاً الخ. وإن سألت عن ذلك فيقال: للبرج سعوز ونحوس، ويأخذ بشرح ذلك. إذا لا صحّة للأبراج...

سابعاً: القول في ظهورات العذراء والقديسين

أمّا يقال عن ظهورات بعض القديسين أو العذراء أو الربّ يسوع لبعض الأشخاص، فهذا يقتضي له انتباه واع مدرك، وتقصّ منضبط ونفس طويل. والسيد المسيح قد تقدّم ونبّهنا إلى ذلك²⁷⁵، وبولس الرسول قد نبّهنا إلى هذا الأمر إذ قال: "الشيطان نفسه يظهر بمظهر ملاك النور..."²⁷⁶.

إنّ الظهورات السماوية، بعد صعود الربّ إلى السماء، لبعض الناس، قد تكون لجلاء حقيقة جرى حولها البحث اللاهوتي، كحقيقة الحبل بلا دنس، إذ ظهرت العذراء لبرناديت سنة 1858 لتثبيت عقيدة الحبل بلا دنس التي كان البابا بيوس التاسع قد أعلنها في الكنيسة جمعاء سنة 1854؛ وذلك بعد تحقيق وتدقيق طويل ومرير، ذاقت فيه برناديت صنوف العذابات والتهديدات حتّى آخر الأمر اتّضحت الأعجوبة.

²⁷³ راجع أشعيا 19/8.

²⁷⁴ راجع أبحار 31/19 وأبحار 6/20 و20-27 وتنشئة 11/18.

²⁷⁵ راجع متى 23/24.

²⁷⁶ 2 قورنثس 14/11.

ثمّ ظهور العذراء للأولاد في فاتيما (البرتغال) سنة 1913، لإعلان سنة التوبة ونهاية الحرب وإنذار العالم للرجوع إلى الله. وكذلك ذاق أولئك الأولاد حرباً قاسية فضلاً عن التهديدات فتدخّلت العذراء في الوقت المناسب وأنقذت الأولاد وحققت بظهور الشمس حقيقة الرؤيا.

نسمع كثيراً، في هذه الأيام عن ظهورات وشفاءات وادّعاءات فكّل هذه، من قبيل الوهم أو الحدس والتخمين، فالرجاء إلى من يهمله الأمر الاهتمام بمثل هؤلاء وحضنهم وإفهامهم الحقائق الإيمانية...

الملائكة موجودون والشياطين كذلك وإلا لكان الكتاب المقدس نفى ذلك ولم يذكره... فقد حدّر من كلّ عمل تدجيل أو تحضير أرواح أو غير ذلك من الشعوذات، القصد منها تغيير الحقائق وتزييفها.

العطاء

قبل أن يصنع الله الإنسان، رأى أن يعطي ويمنح، وجعل العطاء مغبوطاً²⁷⁷، وفي العطاء سعادة، فأعطى من ذاته، من كيانه، وقال: "ليكن نور" يستنير به من سأصنعه على صورتى ومثالي²⁷⁸ ولتخرج له الأرض من جميع ما يحتاجه، من جميع الأصناف والأنواع، للقيام بأود حياته، دون تعب أو كدر، فكان أمر الرب. وبعد أن أتم الله كل هذا ورأه حسناً ونافعاً للإنسان ومفيداً له، عندها صنع الإنسان وأعطاه صورته وشبهه، وأقامه سيّداً على المخلوقات بأسرها²⁷⁹.

قد بهرت داود هذه العطايا المتدفقة على الإنسان فأنشد شاكراً وسائلاً: "من هو الإنسان، يا ربّ الذي سلّطته على جميع أعمال يدك؟"²⁸⁰.

عطاء الله لا ينضب معينه، ولا تفرغ خزائنه، ولكن نحن البشر رأينا أن نحتكر هذه العطايا، ونخزنها خوفاً من أن نموت جوعاً، ونهلك برداً، أو نفتقدها متناسبين قول الله: "انظروا طيور السماء فإنّها لا تزرع ولا تحصد ولا تحزن في الأهراء وأبوكم السماوي يقيتها، فكم بالحري أنتم أحسن منها!"²⁸¹.

إنّ فرح العطاء أكثر سعادة من فرح الأخذ، "فتبارك العطاء الذي هو أكثر سعادة من الأخذ"²⁸². فإنّ في العطاء مقدرة على رعاية من علينا أن نرعاه ونهتمّ به، إذ ليس هناك من يجب أن نعطيه، ومن لا يجب أن نعطيه. كلنا محتاج إلى العطاء، وعلينا كلنا، كما نأخذ، أن نعطي...

²⁷⁷ أعمال 35/20.

²⁷⁸ تكوين 26/1.

²⁷⁹ تكوين الفصلان 1 و2.

²⁸⁰ مزمور 5/8 الخ.

²⁸¹ متى 26/6.

²⁸² أعمال 35/20.

أوصى بولس الرسول تلميذه تيموثاوس: "وصّ أغنياء هذا الدهر... أن يصنعوا الخير فيغتتوا بالأعمال الصالحة، ويعطوا بسخاء ويشركوا غيرهم في خيراتهم"²⁸³... "فإن الله يعطي بسخاء بلا حساب ولا عتاب"²⁸⁴. إنَّ أفضل العطايا هو العطاء من القلب؛ لقد مدح الربّ يسوع الأرملة التي ألقت في خزانة الهيكل فلسين هما كلّ ما لها: "إنّ هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من الجميع لأنّ هؤلاء أقوا من الهبات (العطايا) من الفاضل عن حاجاتهم، أمّا هي فمن حاجتها ألقت جميع ما تملك لمعيشتها"²⁸⁵.

أي عطية أعظم من عطية الله للعالم بأسره؟ مع أننا خالفناه وما زلنا نخالفه في كثير من الأعمال والتصرفات، ومع ذلك، أعطانا ابنه الوحيد مخلصًا لنا²⁸⁶، كي لا يهلك أحد ممّن يؤمن به، والابن، يسوع المسيح، بدوره أعطانا كثيرًا ممّا لا نستطيع أن نعدّ عطاياه: أعطانا ملكوت السماء²⁸⁷. أعطانا الكهنوت، الذي كان حكرًا على عائلة واحدة في بني إسرائيل، وجعله عامًا شاملًا كلّ الناس، وأقام الكهنة والأنبياء الخ²⁸⁸. وأقام الكهنة وكلاء أسرار الله²⁸⁹، "كما عهد إليهم خدمة المصالحة بالمسيح وفي المسيح، واستودعهم كلمة المصالحة"²⁹⁰... أعطانا سرّ المعمودية الذي به نلبس الحلة الأولى²⁹¹، ونلبس المسيح ذاته²⁹². وبالمعمودية الشاملة أصبحنا جميعنا أبناء الله بالإيمان، فلم يعد هناك فرق

²⁸³ 1 تيموثاوس 6/17-18.

²⁸⁴ يعقوب 1/5.

²⁸⁵ لوقا 4/21-3/43-44.

²⁸⁶ يوحنا 16/3 روما 8/32.

²⁸⁷ متى 11/13 مرقس 11/4 لوقا 10/8 الخ.

²⁸⁸ 1 قورنثس 12/28 وأفسس 11/4.

²⁸⁹ 1 قورنثس 1/4.

²⁹⁰ راجع 2 قورنثس 5/18-19، سرّ الاعتراف.

²⁹¹ لوقا 22/15.

²⁹² غلاطية 27/3.

بين الناس²⁹³. وأبناء العطاء بالمعمودية وبها أيضاً أعطانا أن نخلع الإنسان القديم وأعماله وتصرفاته، ونلبس الإنسان الجديد الذي به تتجدد صورة الله التي خلقنا بها²⁹⁴، ونصبح جميعنا إخوة ننادي، بكلّ دالة: "أبّا، أيّها الآب"²⁹⁵، فما أعظم هذه العطية! أعطانا الروح القدس ومواهبه بلا حساب²⁹⁶ مع العلم أنّ كتاب أعمال الرسل هو إنجيل الروح القدس وإنجيل العطاء.

أعطانا فوق كلّ ذلك، جسده مأكلاً ودمه مشرباً لنتقدّس به ونتبرّر²⁹⁷، وهذه العطية هي أثمن وأعظم العطايا على الإطلاق. ومنحنا محبته التي لا توصف، ولا يستطيع أحد أن يهب أحداً مثل هذه المحبة: "إذ ما من حبّ أعظم من هذا أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبّائه"²⁹⁸...

راح الرسل يعطون بلا حساب، فبطرس قال للكسيح، على باب الهيكل: "ليس لنا فضة ولا ذهب، لكن أعطيك ما عندي، باسم يسوع المسيح الناصري: قم وامش..."²⁹⁹. وعليه فلا قيمة للعطاء إن لم يكن هذا العطاء من أعماق القلب، وبكلّ طيبة خاطر ونفس... قال الربّ يسوع: "لا تهتمّوا للغد، فإنّ لكلّ يوم همومه"³⁰⁰، ومعنى القول: إنّ الإنسان يهتمّ بكلّ ما من شأنه أن يحفظ له حياته ومعيشته، فبالمعنى قال الغني لنفسه: "يا نفس كلي وتنعمي فإنّ لك خيرات كثيرة، لسنين كثيرة، ولكنّه لم يعط"³⁰¹. والغني الآخر

²⁹³ غلاطية 29-23/3

²⁹⁴ كولسي 11-8/3.

²⁹⁵ روما 15/8 و غلاطية 6/4.

²⁹⁶ يوحنا 34/3 وأعمال 4-1/2 و يوحنا 17-19/14 و 26، و يوحنا 15-7/16.

²⁹⁷ يوحنا 58-51/6، متى 28-26/26 مرقس 24-22/14 لوقا 20-19/22 و أفورنثس 21-16/10 و 30-23/11.

²⁹⁸ يوحنا 13/15.

²⁹⁹ أعمال 6/3.

³⁰⁰ متى 34/6.

³⁰¹ لوقا 21-16/12.

الذي لم يعط العازر المضروب بالقروح شيئاً³⁰². والمديونان اللذان ترك لهما سيدهما
الدين الذي له عليهما، لكنّ واحداً منهما لم يشأ أن يترك لرفيقه ما له عليه فنال
القصاص³⁰³. وفي بيت سمعان الفريسي منح يسوع للزانية الغفران الكامل³⁰⁴.

أيّ فضل لبولس الرسول في صراعه المقتدرين في أفسس لغرض بشري؟ إنّ لم
يكن هذا الصراع عطاء فيه المجد لله والخير للنفوس، وإعلان ملكوت الله³⁰⁵.

العطاء يجب أن يكون من القلب دون منّة، كالأرض التي تعطي ولا تمنّ،
وكالزهور التي تعطي فوحها ومنافعها للإنسان وللفضاء، ولا تطلب عوضاً، وتعطي
النحل أريها، ولا تمنعه عنها، والنحل، بالمقابل، يعطي عسله الذي هو رأس كلّ
حلاوة³⁰⁶، ولا يمنع الإنسان منه ولا تطلب منه ثمناً...

الأشجار تعطي ثمارها، وحطبها دون منّة، الأرض تعطي البقول والخضار وغيرها
مما ينفع الإنسان والحيوان معاً ولا تمنّ.

النبع يعطي ماءه صافياً زلالاً ويجري في كلّ اتجاه، يروي عطشنا، ويسقي زرعا
ولا يمنّ ولا يطلب أجراً...

الشمس تشرق فتثير أيماننا، وتجعل نهارنا مشرقاً، وتدفع ما برد من أجسامنا،
وتطلق ما تجمّد من حركاتنا، واضعة أنوارها وحرارتها وأشعتها في خدمتنا... ولا منّة.

القمر ينير ليالينا، فتتقشع الظلمة، فهتدي بأضوائه سواء السبيل، ويجعلنا نعرف
الأزمنة والأيام³⁰⁷، ولا يطلب منا أي شيء ولا يمنّ الناس... كلّ ما في الكون يعطي، ولا

³⁰² لوقا 19/16-31.

³⁰³ لوقا 7/41-43.

³⁰⁴ لوقا 7/37-50.

³⁰⁵ 1 كورنثس 15/32.

³⁰⁶ سيراخ 3/11.

³⁰⁷ تكوين 1/16-18 ومزمور 135 أو 136/7-9 وهذا المزمور يدلنا على عطايا الله.

يطلب شيئاً مقابل هذا العطاء، ولا يمتنّ.

لنلق نظرة إلى ما حولنا، في الطبيعة، ونتأمل بحكمة الله ومحبتته للبشر: أيّ مخلوق من متحرّك ومتنقّس وجامد لا يعطي الإنسان؟ الحيوان يعطينا لحمه، وحليبه وجلده ولا يمتنّ، يخفض لنا ظهره للركوب وحمل الأثقال، وعنقه لنير الفلاحة ولا يمتنّ... العطاء دائم.

بولس الرسول يقول لنا جميعاً: "لا يجب أن يفكر أحد ما هو لنفسه بل ما هو لغيره". والمسيح الذي هو في صورة الله، ومساواته ووحدة جوهره مع الآب ليست اختلاصاً، بل إنّ هذه الوحدة الجوهرية هي من حقوقه، ومع ذلك تواضع واتخذ صورة العبد... ليعطي الإنسان ويمنحه المحبة والغفران والمسامحة³⁰⁸، فأعطى جسده باذلاً إيّاه على الصليب، وجعله لنا مأكلاً ودمه مشرباً لنحيا به³⁰⁹.

الصحف تمدح وتشيد بالأسخياء وتعلن صورهم على الملأ، وتظهرهم مع الأخذيين إمعاناً في الإشادة والمديح... وفي هذا الشيء الكثير... فالعطاء يجب أن يكون سرّاً لنوال المكافأة علانية، فلا نعلن عطاءنا بالأبواق أو في المجتمعات والشوارع حتى يصقّق لنا الناس³¹⁰.

علينا، إن كنّا فعلاً مسيحيين، أن نعطي من قلوبنا ومن ذواتنا ومن راحتنا، ومن مقتنياتنا، كثر أم قلت. ولا نبخل بشيء، ولنعلم: إنّ كل ما هو لنا، أو ما نتوهم أنه لنا³¹¹ إن هو إلا عطية مجانية من الله...

قال أحد الملوك لوزيره: "ما أحسن هذا الملك لو يدوم!" فأجابه الوزير: "لو أنّ الملك الأرضي يدوم لما وصل إليك!".

³⁰⁸ فيلبي 2/8-6.

³⁰⁹ يوحنا 6/57-51 و1 قورنثس 11/24-29.

³¹⁰ متى 6/1-4.

³¹¹ متى 25/14-30.

وهكذا نحن، فلنتأملنّ في من وما مضى، ومن وما هو حاضر، ومن وما سيأتي، فنرى أنّنا مسافرون في هذه الأرض وقطار الزمن يحملنا إلى ما بنيناه بإيماننا المطلق، ورجائنا الأكيد، ومحبتنا الحارّة التي لا حدود لها، وبعثاننا من الذات وأن نكون: خبزاً طيباً في معاجن الحياة، وعلى مذبج: الإيمان والرجاء والتضحية وبذل الذات... وهكذا يكون العطاء، كما قال أحد الشعراء، بما معناه، في مدح كريم: إنّ أصابعه لا تطاوعه على أن تنقبض، فتراها دائماً مفتوحة للعطاء، وهو يبتسم، لا بل يضحك وهو يعطي كأنّ الآخذ يعطيه لا يأخذ منه. ولنعلم علم اليقين بأننا سنترك كلّ شيء هنا على الأرض، وقد قال الجامعة: "الذي يحبّ الفضة لا يشبع من الفضة. والذي يحبّ الثروة لا يجني ثمرها. هذا أيضاً باطل"³¹². ولكن الصيت خير من الطيب³¹³. فلنعلم: أن ليس للكفن من جيوب. فأعط فإن الله يعطي...

³¹² جامعة 9/5.

³¹³ جامعة 1/7 أمثال 1/22.

شاهد زور على الإنجيل والتوراة والقرآن

1. التعريف بالإنجيل

الإنجيل، كلمة يونانية وسريانية، تلفظ بـكَلتا اللغتين، بكلمة "إفانجيليون" ومعناها: البشارة المفرحة، وما الإنجيل سوى مختصر لحياة المسيح عيسى بن مريم الملائى بالآيات والأعاجيب، والتي جرت على الأرض، وقد رآه الناس أجمع، وتواترت أخباره في كل أصقاع الأرض، من أقصاها إلى أقصاها، حتى لم يعد هناك من بلد أو صقع إلا ودخلته أخبار المسيح، محمولة بأفواه شهود عيان، رأوه وسمعوا أحاديثه ومواعظه، وشاهدوا آياته العظام، كبعث الموتى وتفتيح عيون العميان... وشفاء كل من مسهم الضر، أو تغلغت فيهم الأمراض الروحية والجسدية، ثم أصبحوا له رسلاً فراحوا يخبرون بكل ما رأوه وسمعوه، فطالبهم الشعب، الذي آمن بالله على أيديهم، بأن يكتبوا لهم ما لقنوههم إياه شفاهاً³¹⁴.

2. تدوين أول إنجيل وردّ مزاعم إنجيل برنابا

نزل الحواريون عند إرادة الشعب المؤمن بالله، وجرى تدوين أول إنجيل، وبالتالي أول فصل من فصول حياة المسيح على الأرض وذلك سنة 44 ب.م، على يد أحد رسل "حواري" المسيح، متى العشار افتتح هذا إنجيله بإيراد نسب المسيح البشري، مبتدئاً بإبراهيم وإسحاق وداود فسلیمان... يتّضح بذلك للعالم كله أنّ المسيح هو من نسل إسحاق وليس من نسل إسماعيل، وهذا النسب هو مرجع يستند إليه القرآن، ليقول: "إنّ المسيح هو من نسل إسحاق وليس من نسل إسماعيل... بينما نجد إنجيل برنابا، المزعوم هذا، قد جعل عيسى "المسيح" من نسل إسماعيل، مكذباً بذلك القرآن وشاهد زور وبهتان عليه، وقوله ما لم يقله...".

³¹⁴ راجع لوقا 1/1-4...

3. استفتاء

ليت شعري... هل يرضى المسلمون، وعلى رأسهم القرآن، أن يكون عيسى ابن مريم من نسل عبد الله بن هاشم... وأن يحذف من الوجود يحيى (يوحنا) بن زكريا ويحلّ محله المسيح "عيسى" وأن يكون محمّد هو عيسى "المسيح" بن مريم؟ وأن يدحض القرآن مقالته ويكذب نفسه ويتراجع عن قوله الموحى، ويقول بمقالة إنجيل برنابا...؟ فيطير عندها الوحي والواحي والموحى إليه... نعم هذا ما يقوله إنجيل برنابا هذا، مع العلم أنّ القرآن وجميع المسلمين يقرّون إقراراً واضحاً وصريحاً بأنّ "عيسى" بن مريم هو المسيح الحقيقي الذي أتى إلى العالم، وإليكم ما جاء في القرآن: "إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين"³¹⁵... فليحكم إذن أهل القرآن بذلك...

4. قول إنجيل برنابا في أنّ محمّداً هو المسيح

يقول واضع إنجيل برنابا المزعوم في 28-14/39، ما معناه: إنّ محمّداً هو نور الله ومسيح الله، وبالتالي يكون هو المسيح، والمسيح يصبح ذلك النبي الذي سمّاه القرآن يحيى (يوحنا) بن زكريا. ويحيى بن زكريا يطير من إنجيل برنابا المزعوم، كما يطير عيسى الحقيقي الذي يعترف به القرآن، فأين قول القرآن وأين قول إنجيل برنابا هذا... من هو يحيى بن زكريا، الذي يذكره القرآن في سورة مريم من الآية 7 إلى الآية 16؟ ومن هو المسيح "عيسى" بن مريم هذا، الذي يذكره القرآن في كلّ سورة. ومن هو محمّد إذن؟

5. التحريف في إنجيل برنابا

لقد توغّل صاحب برنابا في التحريف، وابتعد كثيراً عن جادة الصواب، ألزم القرآن على الأخذ بقوله، إذ جعل صاحب برنابا المسيح من نسل إسماعيل كما قدّمنا، وأبدل أماكن وتواريخ كثيرة، وهكذا يكون هذا الإنجيل المزعوم شاهد وشهادة زور على القرآن:

³¹⁵ آل عمران 45.

"ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب"³¹⁶. فهذا تزوير فاضح ومفصوح لشخصية محمد في إنجيل برنابا، فمن يا ترى نصدّق. القرآن الموحى أم إنجيل برنابا؟

6. النصّ أو الفصل الثّاني للإنجيل أو حياة المسيح على الأرض

في سنة 44 ب.م. طلب أهل روما إلى حواري المسيح، المسمى بطرس الصقار (كما يسمّيه الثعلبي والمسلمون عامّة)، أن يكتب لهم ما أخبرهم به شفاهاً. فأوعز إلى أحد تلاميذه، المسمّى مرقس، بأن يكتب لهم ذلك، فكتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية، فانتشرت نسخه كما انتشرت نسخ الكتاب الذي قبله، وفي إنجيل مرقس يذكر ذبيحة زكريا، ونبوة يوحنا (يحيى) ابنه، فراح علماء المسيحية يدققون آنذاك في النصين هما نصّ واحد ومعنى واحد، أي أنّ المسيح هو من نسل إبراهيم واسحق ويعقوب وداود، وعمران (يواكيم) والد مريم الذي ولد منها المسيح "عيسى". وهذا مستند آخر استقى منه القرآن، كما ترى في قوله عن قصص مولد "عيسى بن مريم" "إنّ الله اصطفى آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم"³¹⁷. وقال الجلالان في تفسيرهما هذه الآية: "إنّ الله اختار هؤلاء على العالمين، ذرية بعضها من بعض، ويجعل الأنبياء من نسلهم، أي من أولاد بعضهم". ويقول القرآن أيضاً في بشارته لزكريا، جاعلاً يحيى (يوحنا) سابقاً للمسيح بقوله: "فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أنّ الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة وسيّداً حضوراً ونبياً من الصالحين"³¹⁸. قال الجلالان: مصدقاً بكلمة من الله... أي بعيسى أنه روح الله...

7. قول إنجيل برنابا

إنّ إنجيل برنابا يحذف يحيى من الوجود وينفيه نفياً قاطعاً، شاء القرآن أم أبى. كيف

³¹⁶ عنكبوت 27.

³¹⁷ آل عمران 33-34.

³¹⁸ آل عمران 39.

إذن، نوقِّق بين قول القرآن وقول إنجيل برنابا المزعوم هذا؟ ثمّ كيف نوقِّق بين إيمان المسلمين في القرآن وإيمانهم بإنجيل برنابا؟ أفتونا يرحمكم الله؟

8. الفصل أو النصّ الثالث لحياة المسيح على الأرض

في سنة 64 ب.م. وبناء لطلب أحد أشرف رومية، ثاوفيلس، كتب لوقا أحد أتباع المسيح (حواري الحواريين) إنجيله باللغة اليونانية، وافتتحه ببشارة زكريا بيوحنا (يحيى)، وهذا مستند أيضاً للقرآن³¹⁹، بينما نرى ملقّق إنجيل برنابا هذا ينفي وجود يوحنا (يحيى بن زكريا). ليت شعري، ألا يحترم المسلمون القرآن؟ أيقبلون شهادة زور على القرآن من رجل إيطالي الجنسيّة يهودي الأصل صهيوني الهوى، يريد البلبلة لا الوفاق... وهذا الإيطالي تنصّر أولاً ثمّ مرق عن مسيحيّته ودخل في الإسلام ظاهرياً، وكتب هذا الإنجيل ليبلبل إيمان المسلمين، ويضمحل القرآن ليس إلا... فليقهم أولو الألباب ويحترموا قرآنهم على الأقلّ...

9. إثبات تزوير إنجيل برنابا

لقد ثبت لدى الباحثين، أنّ إنجيل برنابا بنسخته الإيطالية الأصل، هي من مصنوعات ومنتوجات القرن السادس عشر بدلائل وإثباتات منها:

- أ. تنوّع الحبر.
- ب. أسلوب ونوع الخط.
- ج. الأسلوب الإنساني.
- د. وأهمّ من كلّ ذلك، العنوان الذي فضح تزوير هذا الإنجيل وهو "الإنجيل الصحيح". وهذه الكلمة أو بالتالي هذا العنوان لم يسبق أحد ووضعه على كتاب عادي، فكيف به على كتاب ديني؟ فلو افترضنا مثلاً أنّه وجد ثمّة قرآن كتب في عنوانه "القرآن الصحيح" فماذا يكون موقف المسلمين منه يا ترى؟

³¹⁹ راجع سورة مريم.

10. الفصل أو النصّ الرابع لحياة المسيح على الأرض

ثمّ في سنة 67 ب.م. وبإلهام ووحى إلهي، ككلّ الكتب السماويّة، وبناء على طلب مؤمني آسيا الصغرى، كتب أحد حوارى المسيح، يوحنا، يحيى، بن زبدي، نصّه الرابع، وفيه يخبرنا أنّ المسيح هو كلمة الله الذي كان في الله ومع الله آت من الله منذ الأزل، وقد أخذ عنه القرآن بأنّ المسيح هو كلمة الله وروح منه³²⁰. والقرآن يدعو إلى إقامة الإنجيل الذي فيه هدى ونور³²¹.

11. إنجيل برنابا يدحض القرآن

نرى مما تقدّم أنّ إنجيل برنابا يدحض القرآن دحضاً بيّناً، إذ أنّ القرآن يعتقد بالمسيح "عيسى بن مريم" بأنه كلمة الله، بينما إنجيل برنابا يرى أنّ المسيح هو يوحنا (يحيى) بن زكريا، سابق المسيح، وأنّ محمّداً هو المسيح... فلا نجد في إنجيل برنابا كلمة تشير إلى المسيح بأنه كلمة الله وروحه. فمن يا ترى نصّدق؟ أليس المسيح "عيسى" هو، في القرآن، كلمة الله وروحه؟ ففي البرنابا لا وجود له، فمن نصّدق؟ ليت شعري، وأيّ نصّدق أو هو الأصح، القرآن أم هذا البرنابا؟ يرحمكم الله يا قوم، ترووا القرآن وتعمّقوا في البرنابا هذا المزعوم وارتشدوا.. إنّ الفصول من 91 إلى 98 من هذا البرنابا، يقول فيها واضعه: إنّ المسيح أعلن أنّه ليس بالمسيح، بل المسيح هو محمّد بن عبدالله، فكيف ذلك؟ فما علينا إلا أن نأخذ بالبرنابا هذا وننبذ القرآن ككتاب ديني ونحتفظ به ككتاب لغة محافظة على اللغة من اللحن. أو نأخذ بالقرآن على أنّه كتاب ديني، مقدّس، نصّاً وتفسيراً وتعبيراً، وننبذ هذا البرنابا الضال والمضلل، وإلقائه في سلّة المهملات، على أنّه كتاب محرّف وشاهد زور على القرآن والتوراة والإنجيل، وأن يذيع المسلمون المتعقلون تحريف وتزوير إنجيل برنابا على الملأ وبين جميع المسلمين الأُميين، ليأخذوا بالقرآن وينبذوا هذا البرنابا ويبتعدوا عن التهويلات الهدّامة.

³²⁰ النساء 170.

³²¹ المائدة الآيات: 49 و76 و71 وغيرها.

12. براهين تثبت صحّة الإنجيل الذي بأيدي المسيحيين شرقاً وغرباً

برهان 1

كلّ العالم يعرف أنّ المسيحيّين كانوا، في بدء رسالتهم وتبشيرهم بالله والواحد واليوم الآخر... على ضعف ومسكنة واضطهاد شديد من قبل اليهود والوثنيّين. هذا ما صرّح به القرآن في سورة أهل الكهف (شهداء أفسس الراقدين في الكهف) وسورة البروج (استشهاد الملك الحارث)، ولم يجتمع أمرهم ويأمنوا على نفوسهم إلا منذ سنة 312 ب.م. وعند ذلك توالى على المسيحيّين، بدافع من اليهود، الاختلافات العقائديّة في تفسيرهم لنصوص الإنجيل الذي هو بين أيديهم وقد حافظوا عليه كلّ سنّي الاضطهادات، والذي بقي هو هو أمس واليوم والى الأبد³²²، كما هو الواقع الأكيد ونراه في كلّ اللغات في كلّ أنحاء العالم، بالمسيحيّين، وبتدخّل اليهود، ينقسمون إلى فرق متعدّدة متنافرة، تنافر الواحدة الأخرى، فكيف ليت شعري، يتفق أمرهم على إخفاء الجوهرة البرنابيّة، الإنجيل البرنابي، كلّ تلك السنين ويرضون بالبقاء على الضلالة كلّ تلك المدّة، حتّى يأتي هذا البرنابي ويأتي "بالإنجيل الصحيح ليسوع المسمّى المسيح"؟ يرحمكم الله ويرحم أباكم كفاكم ضلالاً وتضليلاً... يرحم الله أباكم أفتوني، وقولوا لي: كيف لم ينتبه للانحراف البرنابي هذا، لوثير وكالفان وفيكلاف وغيرهم من الخارجين على الكنيسة الأمّ (كنيسة روما - القسطنطينيّة)، ويستخرجون ويفضحون به البابا وسائر البطاركة في العالم أجمع؟ ويظهرون الإنجيل البرنابي على أنه: "الإنجيل الصحيح"؟ مع العلم أنّ هؤلاء المارقين يبعضون البابا ومن يتبعه ويقول بقوله...

برهان 2

إنّ القرآن ندّد بالقائلين بألوهيّة مريم بنت عمران بقوله: "يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله؟"³²³، فلو درى القرآن بأنّ هناك إنجيل

³²² عبرانيّين 8/13.

³²³ مائدة 116.

يدعى برنابا (الإنجيل الصحيح) لكان ندّد بالإنجيل الذي كان المسيحيّون ولا يزالون يقرأونه، وصرّح وحرّض على اتباع البرنابا هذا ورفض كلّ تعليم يخالفه...

برهان 3

جاء في صحيح البخاري: "أنّ من يطعن بالتواتر يطعن في النبوة والنبوة نفسها"، وهذا البرنابا، يرحمه الله، قد طعن في النبوة والكتب والأقوال المتواترة... فما ومن هو الصحيح؟ البرنابا أم القرآن؟

الختام

إنّ كل ما تقدّم كافٍ لإبطال مزاعم هذا البرنابا وإنجيله، وإبطال مزاعم الآخذين به، أيًا كانوا، وإحقاق الحقّ والسلام على من تبع الهدى وآمن بالله واليوم الآخر وحفظ الكلام وعمل به وقال على الله قولاً حقاً...

والآن، إمّا الأخذ بالقرآن وبكلّ ما فيه وبكلّ ما جاء فيه من الآيات البيّنات، ورفض إنجيل برنابا المزعوم هذا رفضاً باتاً. وإمّا رفض القرآن رفضاً باتاً ورميه والأخذ بإنجيل برنابا المزعوم هذا... والسلام على أهل السلام...

الخطر الخفي

تحمل إلينا الأخبار والأنباء المكتوبة والمقولة، كلّ ساعة وكلّ يوم، أخبار المجازر والمذابح، والقتل والدمار، وتنتشر علينا صوراً تشمئزّ منها النفوس، وتقشعرّ لها الأبدان، كما تحمل إلينا، أيضاً اندثار قرى، وتهديم أبنية وخراب معامل، فضلاً عن أخبار السلب والنهب والسراقات، إلى آخر هذه النواعي النواعب...

كلّ هذا، قد يحدث في أيام الحرب، ابتغاء استظهار فريق على فريق، وانتصار دولة على دولة، وهذا طبيعي في البشر، لأنّ الإنسان الحقيقي المتأنس، لم يوجد بعد في ظهراني البشر، ولا يظهر إلا بعد موته، وتكون لذة التأنس قد انقضت دون أن يشعر بوجودها أحد، فلا ننعّم بالإنسان الحيّ، ولا نستفيد منه بعد موته، إذ سرعان ما ننساه...

وقد نسّمّي الحروب، التي يتبارى فيها المدفع والصاروخ، وتتراقص القنابل ويعزف الرصاص وتغنّي الطائرات ناشدة أنشودة الموت... خطراً وهولاً على البشريّة لأثّها تسلبها الحياة والأموال، وتحرمها لذة العيش والتمتع في الأرزاق والأطيان، وتشرّد السكّان الآمنين عن بيوتهم وأوطانهم وقراهم. ولكنّ هذه الحرب تعقبها هدنة قد تطول أو تقصر حسب إرادة قادتها وأمرائها...

أمّا الخطر الأكبر الذي لا يضاهيه خطر مهما عظم، فهو اللسان الذلق المتملق، الذي يسلب الإنسان إنسانيّته، ويعدمه شخصيّته الأصليّة، ويجعله يتنكر لوطنيّته، ويلبسه ثوباً لم يكن له في الأصل فهو حرب لا هدنة له ولا معاهدة صلح تعقبه! هذا كم هو خطر الدّاهم الذي يعرّض المدن والقرى للخراب، والوطن للدمار، والآمنين للذبح أو القتل والسحل وبغير المدى والبنادق والحبّال، بل بسلب الناس إيمانهم الموروث، والذي لأجله هجر الناس أوطانهم الأصليّة الواسعة مساحة وخيرات إلى أرض جرداء قاحلة، فاستصلحوها واستنبتوا أرضها، وفجّروا صخرها عيوناً ذات ماء معين، وتجريدهم عن وطنيتهم وإقعادهم عن الدّفاع عن وطنهم وأعراضهم وإيمانهم، بتعاليم لم تكن معروفة في مشرقنا هذا عامّة ولا في لبنان خاصّة... هذاكم هو الخطر الأكبر والداهية الدهماء.

التعاليم الضالّة المضلّة التي تأتيها من غير هذا المشرق الحبيب وعن غير يد معلّميه الذين استقوا الإيمان عن مؤسّسيه الأصليين، والتي راح يروّج لها أناس باعوا أنفسهم للشيطان لقاء وعود دنيويّة لتوقيع النفوس في أسر الشيطان والبلاد في يدّ قاسية ظالمة، قد لا ترحم دعائها... وقد سبق له المجد فحدّثنا منها ومن هذه التعاليم ومروجيها بقوله: "يقوم جمهرة من المعلّمين الكذبة ويضلّون الكثيرين، ولكثرة الإثم تبرد المحبّة... فسيقوم أنبياء كذبة يجرون آيات عظيمة... حتّى ليضلّون المختارين أنفسهم إن أمكن"³²⁴. وعلى منوال السيّد له المجد، قد نسج الرسل القديّسون وراحوا يحدّثون الناس قديماً وحاضرًا ومستقبلاً من المعلّمين الكذبة الضالّين والمضلّين، وقد كتبوا بإلهام الروح القدس³²⁵. فهذا بولس يقول: "أطلب إليكم أيّها الأخوة بأن تحترسوا من الذين يصنعون الشقاكات والعثرات خلافاً للتعليم الصحيح الذي تعلّمته واعرصوه عنهم. لأنّ مثل هؤلاء لا يخدمون ربّنا يسوع المسيح بل بطونهم. وبالكلام الطيّب والأقوال الحسنة يخدعون فيها القلوب السليمة"³²⁶. وأيضاً "الخبِيث من بينكم"³²⁷ وأيضاً وفي قوله شبه نبوءة "أخاف أنّه كما خدعت الحيّة حواء بمكرها تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح... لأنّ مثل هؤلاء هم رسل كذبة عمال ماكرون مغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح. ولا عجب فالشيطان نفسه يظهر بشبه ملاك النور. فليس عظيماً إن كان خدامه بمظهر خدام للبر..."³²⁸. وأيضاً محدّثاً "لا يغرّكم بكلام باطل لأنّه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله"³²⁹.

³²⁴ متى 12-11/24 و24.

³²⁵ 2 بطرس 21/1.

³²⁶ روما 17/16-18.

³²⁷ 1 كورنثس 13/5.

³²⁸ 2 كورنثس 3/11 و13-15.

³²⁹ أفسس 6/5.

هذه التعاليم التي جاءت من الآفاق على يد المعلمين الذين تركوا مسيحيتهم الأصلية، التي كانت لهم في الأصل، وانصرفوا إلى تعاليم تتيح لهم الانفلات أكثر فأكثر في متهاتات الشقاء والانقسام وحسناً قال بولس الرسول: "احذروا الفعلة الأشرار"³³⁰ فهؤلاء العملاء يأتون بالكلمات المعسولة يدسون بدع هلاك وكثيرون من المهوسين يتبعونهم، ويتجرون بأقوال مزخرفة... يصطادون النفوس المتقلقة في حبالهم، وتركوا الطريق المستقيم، فهم كخيوم تسوقها الزوابع، وعيون لا ماء فيها، يعدون الناس بالحرية - أي: التحرر من ربقة الدين وشروطه - وهم بالتالي عبيد الفساد، والمرء عبد لمن غلبه³³¹.

لننظر حالة الوطن اليوم، إن كنا لبنانيين نغار على أراضنا وأرضنا، والاضطهاد الذي يقاسيه المسيحيون عامة - ما عدا الذين باعوا أنفسهم للمعلمين الكذبة - وانتبهوا إلى هؤلاء الذين يعلمون تعاليم بعيدة كل البعد عن التعاليم التي ورثناها عن الآباء والأجداد، وعلى ضوئها وهداياها كان، ولا يزال، لنا منها قديسون اجترحوا ويجترحون العجائب... هؤلاء المعلمون الكذبة يسرقون منّا الوطن ليجعلوه لقمة سائغة لأعدائه، وغنيمة بأيديهم وذلك بأبعاد اللبنانيين المسيحيين عن محجة الإيمان الكاثوليكي الأرثوذكسي المقدس، وعن رؤسائنا بتصويرهم المحال حقيقة، وبإعادنا عن الدفاع عن الأرض والعرض والإيمان...

بقليل من التفكير وبعودة إلى الواقع نجد أنّ الأعداء تكتنفنا من جميع الجهات، وكلّ يريد أن يهدم ما بنيناه بأجيال وبالدم، وتسليمنا إلى أيدي المتربصين بنا، ليموت الإيمان الكاثوليكي الأرثوذكسي في الشرق ولا سيّما في لبنان خاصة...

لنسمع ما يقول عن هؤلاء المعلمين الكذبة يوحنا الحبيب: "يا أولادي الصغار، ها هي ذي الساعة الأخيرة. لقد سمعتم أنّ مسيحاً دجالاً سيأتي، وها مسحاء دجالون كثيرون، فمن هذا نعلم أنّ هذه هي الساعة الأخيرة. لقد خرجوا منّا، بيد أنّهم لم يكونوا

³³⁰ فيليبّي 2/3.

³³¹ 2 بطرس 1/2 الخ.

منا، لأنهم لو كانوا منا لاستمروا معنا...³³²، ويقول أيضاً: "قد انتشر في العالم
مضلون كثيرون... احذروا منهم"³³³...

ولنسمع ما قاله لنا يهوذا الرسول بهذا الشأن: "... لأنه قد اندسّ فيكم أناس كتب
عليهم القضاء من قديم منافقون... أناس لا يفترون عن التذمّر والشكوى... أفواههم
تنطق بالكلام الطّنان ويتملقون الناس في سبيل المصلحة الخاصة... سيكون في آخر
الزمان أناس مستهزئون يسلكون بحسب شهواتهم الكفريّة فهؤلاء هم المشاقون
الحيوانيون الذين ليس لهم الروح"³³⁴...

فالحذر الحذر! قبل فوات الأوان! إذ يومها سنندم ولكن لات ساعة مندم...

³³² 1 يوحنا 18/2-19.

³³³ 2 يوحنا 8/7.

³³⁴ يهوذا 4 و16 و18.

الآلام

بدأ الألم مع سقوط الإنسان في خطيئة المخالفات³³⁵، إذ أخذ الألم بشدّة خناق المخلوقات بأسرها فتغيّر وجه الأرض، وأضحى الإنسان يسعى وراء لقمة العيش، وقد لا يصل إليها إلا بشقّ النفس وتجشّم المتاعب، والعقبات تعترض طريقه، والأرض تنكّرت له وراحت تنبت له الشوك والعوسج والنباتات التي تضرّ ولا تنفع، لأنّ شدّة المرارة تزيل المرارة. (ما يبشيل المرّ إلا الأمرّ متّو). ومع ذلك نرى الألم يفيد أيضًا.

1. الألم طريق إلى الرجاء

إنّ الألم حلقة من سلسلة مسيرة الإنسان على الأرض، إذ بمخالفة الإنسان لله، راح الخوف والرعب يسيطران على هذا الإنسان وعلى الحيوان معًا: "انموا واكثروا واملأوا الأرض وليكن خوفكم ورعبكم على سائر وحوش الأرض وجميع طير السماء وكلّ ما يدبّ على الأرض وأسماك البحر"³³⁶. فالله مع أنّه بارك الإنسان من جديد، لأنّ الرحمة والمحبة الإلهية أبت على الله أن يضمحلّ الإنسان بل رحمته وسلّمه مجددًا مقاليد الأرض وما عليها من مخلوقات؛ لكنّ هذا التسليم لم يكن كالتسليم الأوّل، خاليًا من كلّ صراع، إذ كان الله قد قال: "النصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا ليتسلّط على جميع المخلوقات..." ثمّ بارك الله الإنسان قائلاً: "انموا واكثروا أملأوا الأرض وتسلّطوا على جميع الأرض"³³⁷. في حين أنّ البركة الثانية، ولئن تملّكية ولكنها ممزوجة بالصراع أيضًا. فأضحى الإنسان يشعر بكلّ ضائقة نفسية كانت أم جسدية، كما أنّه يشعر بالخوف والرهبة: أمام رهبة الليل³³⁸ عند سماع زئير الأسود، ولدى شمس الحيوان. لم يقف الصراع عند هذا الحدّ بل تعدّاه إلى صراع الإنسان مع ذاته، فالخير الذي يجب أن يعمل

³³⁵ تكوين 3/كله.

³³⁶ تكوين 1/9-2.

³³⁷ تكوين 1/26-28.

³³⁸ مزمو 90 أو 5/91.

يخالفه ويعمل الشرّ، والشرّ الذي عليه أن يتجنّبهُ فإيَّاه يعمل³³⁹.

لكنّ الله لم يترك الإنسان يعمه في طريقه بل راح يسير به في طريق الخير ويرشده إلى سواء السبيل، ويرسل له الأنبياء والمرسلين³⁴⁰ تارةً، وطورًا يمتحنه بالآلام لينقيه³⁴¹، ويجعل خلاص الإنسان مكملًا بالآلام³⁴². فالآلام تنقي الإنسان وتعدّه لمجد أعظم. فلو تأملنا في حياتنا الماديّة هذه نرى أنّه لولا آلام المعادن، في الصهر، لما كان لنا الذهب الإبريز، ولا الفضّة النقيّة، ولا باقي المعادن التي نستعملها ونصلحها لخدمتنا. لولا ألم الخشب لما كان لنا المصنوعات الخشبيّة التي تزيّن قصور الملوك، والتي بنى منها سليمان هيكل الربّ³⁴³. أمّا آلام هذا الدهر وإن تحملناها، نرى أنّها لا تقاس بمجد الدهر الآتي، إذ أعدّ للذين يتحمّلون الآلام بصبر وتواضع ومحبة لمجد الله، مجدًا وكرامة لم "ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على قلب بشر"³⁴⁴. إنّ الألم هو الطريق إلى الرجاء، وهذا ما أكده لنا بولس: "إنّ آلام هذا الدهر لا تقاس ولا تعادل المجد الذي سيتجلّى فينا"³⁴⁵. ويقول لنا بولس أيضًا: "نفخر بشدائدنا نفسها، لعلمنا أنّ الشدّة تلد الثبات، والثبات يلد فضيلة الاختبار، وفضيلة الاختبار تلد الرجاء، والرجاء لا يخيب صاحبه..."³⁴⁶. لأنّ الله، مع كلّ شرور الإنسان، أراد أن يخلص الإنسان من أسر الشيطان، وقد فعل ذلك، إذ مزّق الصكّ الذي كتبه للشيطان على أنفسنا، وسمّره على

³³⁹ راجع روما 15/7-19.

³⁴⁰ متى 23/34 ولوقا 11/49.

³⁴¹ راجع إرميا 6/9-7.

³⁴² عبرانيين 10/2.

³⁴³ 3 أو 1 ملوك 6 و7 و2 أخبار 3 إلى 5.

³⁴⁴ 1 قورنثس 9/2 وراجع أشعيا 3/64.

³⁴⁵ روما 18/8 وراجع 2 قورنثس 17/4.

³⁴⁶ روما 5/3-5.

الصليب³⁴⁷. فإنَّ يدَّ الرَّبِّ تجرح وهي ذاتها تضمِّد الجراح وتشفى، ويفدي من الموت³⁴⁸.

2. الخوف

الخوف، هو أحد أنواع الصراع والألم النفسي في الإنسان، هو حركة تنشأ في النفس فتبعث فيها القلق والاضطراب، وتجعلها في عدم استقرار، دائمة الترقب للمفاجئات والحذر منها، وترسم علامات الخوف على وجه الإنسان، وحيثما تلقت هذا الإنسان يرى الخوف محيطاً به³⁴⁹. الخوف من الحياة ومصاعبها ومضايقاتها، الخوف من الذات، الخوف من الإنسان، والأعظم من كلِّ المخاوف هو الخوف من الموت، ومن المصير بعد الموت، ومن مواجهة الحقيقة. ولكي يخلصنا الله من كلِّ المخاوف تجسّد وصار بشراً مثلنا³⁵⁰، وخضع للخوف بطبيعته البشريّة، وبهذه الطبيعة كان يصلي طالباً عبور كأس الموت عنه³⁵¹. وجاء أيضاً قوله: "إنَّ الروح مستعدّ أمّا الجسد فضعيف"³⁵².

قد خضع المسيح لجميع التأثيرات البشريّة ما عدا الخطيئة³⁵³. وهذا مما يدلّ على أنّ السيّد ترك للطبيعة البشريّة تمام حرّيّتها لتتأثّر وتتفاعل بسائر الانفعالات التي تتأثّر بها كلّ طبيعة بشريّة. وقد روى صلاته الاكثنابيّة الإنجيليون الإزائيون، فقال متى: "ثمَّ جاء يسوع مع تلاميذه إلى موضع اسمه جتسيماني، فقال لهم اقعّدوا هنا، حتّى أذهب وأصلي هناك... وأخذ معه بطرس وابني زبدي، وبدأ يشعر بالحزن والكآبة وقال لهم: نفسي حزينة حتى الموت... سأظلّ أبتعد عنهم وسقط على وجهه وصلي"³⁵⁴. أراد يسوع أن

³⁴⁷ قولسّي 14/2.

³⁴⁸ راجع أيوب 18/5.

³⁴⁹ مزمور 30 أو 14/31.

³⁵⁰ يوحنا 14/1.

³⁵¹ متى 41/26.

³⁵² متى 41/26.

³⁵³ 2 كورنثس 21 وغلطية 12/3 و 1 بطرس 24/2 و 1 يوحنا 5/3.

³⁵⁴ متى 39-36/26 و 39-32/14 لوقا 44-40/22.

يرى بطرس ويعقوب ويوحنا شدة آلامه كما رأوا بهاء لاهوته في التجلي³⁵⁵، وذلك حتى إذا رأوا عجائبه لا يجزعون من آلامه، ليكونوا شهودًا للطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، وأنه باختياره يتألم، ويكرزوا للعالم بأنه حقًا ضياء الآب³⁵⁶؛ وقد شهد بطرس بذلك بقوله: "قد أطلعناكم على قدرة ربنا يسوع المسيح وعلى مجيئه... وإذ أننا عاينًا مجده فقد نال من الله الآب إكرامًا ومجدًا؛ إذ جاءه من المجد صوت يقول: هذا هو ابني الحبيب... ذاك الصوت قد سمعناه آتياً من السماء إذ كنا معه على الجبل المقدس"³⁵⁷.

3. الآلام

نقرأ في الكتاب المقدس قصة خلاص الإنسان، فنرى في سياقها أن هذا الخلاص لم يتم بكلمة، كما كان الخلق بكلمة، بل بمخاضٍ عسير، بذلك أضحي للألم تاريخ ومخطط يتحقق في مجاري الزمن. فالله أقام الإنسان في الأرض ليلتقي به في عهد دائم ثابت. فقال الله لنوح: "ها أنا مقيم عهدي معك"³⁵⁸، وجدّد هذا العهد بعد الطوفان، إذ جعل له علامة، وهي: "قوس قزح"³⁵⁹، وهذا العهد يمتدّ إلى العالم كله، لأنه يحيط دائرة الفلك: شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا كالصليب، إذ بعد الطوفان وآلامه وشدائده كان تجديد الخليقة³⁶⁰. جدّد الله هذا العهد مع إبراهيم، بالختان³⁶¹ الذي فيه شيء من الألم، الذي بعده نوع من الخلاص، ولا يهتم هذا الألم سوى ذرية إبراهيم فقط. وسيصبح هذا العهد لإسرائيل وحده مع موسى³⁶². وهذه العهود لم تمرّ دون ألم، بدءًا بالأسر الفرعوني إلى الضياع في

³⁵⁵ متى 8-2/17 مرقس 8-2/9 لوقا 8-28/9-36.

³⁵⁶ السواعي 6 أب من صفحة 1496 إلى 1498 طبعة سنة 1962.

³⁵⁷ 2 بطرس 1-16/18.

³⁵⁸ تكوين 6/18.

³⁵⁹ تكوين 9/11-12.

³⁶⁰ تكوين 9/12-17.

³⁶¹ تكوين 17/4-10.

³⁶² خروج 19/5 و24/7-8.

الصحراء مدة أربعين سنة³⁶³، ولكن بعد هذه العذابات والآلام وصل الشعب إلى واحة الرجاء واستبشر بالخلاص...

بقي الله أميناً على عهده مع الإنسان وراح يسير به في طريق الآلام، لكي بهذه الآلام ينجيّه ويخلصه، كما يخلص الطبيب الجراح المريض ببتير أحد أعضائه، ولكنّ الإنسان كان في كلّ مرّة يعود إلى مخالفة الله، لا بل يخون عهد الربّ³⁶⁴، في حين أنّ الله لم يحد ولا مرّة عن عهده، بل بقي أميناً على هذا العهد، إلى تمام ملء الأزمنة، عندها "أرسل ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ليخلص الذين هم تحت الناموس"³⁶⁵. ليبقى على عهده ويكمل طريق هذا العهد الذي أخذه على نفسه. ما إن تجسّد المسيح من مريم البتول حتّى أخذ فجر الخلاص باليزوغ، وعندما دخل المسيح في مرحلة الآلام والموت حظي الإنسان بالتبني وراح ينادي الأب بكلّ دالة ويقول له: "أباً أيّها الأب"³⁶⁶. ونرى من هنا أنّ الألم لم يكن شرّاً أبداً، إن هو إلاّ تكفيراً عن شرّ عظيم فعلناه في وجه الله، ولكن الله يحولّ ذلك الألم إلى خير البشر وخلصهم، ويجعله وسيلة للوصول إلى الصحة التامة وتجديد العهد بين الله والإنسان بواسطة دم المسيح وسرّ العماد المقدّس...

4. وجوه الشرّ والألم ونتيجته

ظهر الله في الجسد³⁶⁷، وحمل في هذا الجسد أثقال خطايا الإنسان واحتمل أوجاعه³⁶⁸، ليخلص الإنسان كلّ الإنسان، ويجعله يشهد للحق³⁶⁹ ضدّ الشرّ الذي هو ظلمة

³⁶³ عدد 34/14 يشوع 6/5 عاموص 10/2 و 25/5.

³⁶⁴ عدد 5/5.

³⁶⁵ غلاطية 4/4.

³⁶⁶ روما 15/8 و غلاطية 5/4-6.

³⁶⁷ 1 تيموثاوس 16/3.

³⁶⁸ أشعيا 4/53 ومثى 17/8.

³⁶⁹ يوحنا 11/3 و 23-33.

كثيفة تفصل الإنسان عن خالقه؛ فنرى في آلام المسيح نوراً ينير في الظلمة ويكشف لنا عن وجوه الشرّ المتعدّدة والمتلوّنة، التي تصلّب وكبرياء رؤساء الكهنة والفريسيين والكتبة الذين لم يذعنوا للحقّ، بل راحوا يعقدون محافل مؤامرات ومشاورات في كيف يخنقون صوت الحقّ³⁷⁰ وغيرها كثير، كما جاء في مزمور 2-1/2 ورؤيا 19/19... ومنها أيضاً تسخير الإنسان نفسه خادماً للشرّ وعاملاً على تضليل الناس والإيقاع بهم، فيظهر لنا الخاطئ الذي يجرّ غيره إلى الشرّ، والمنحرف عن الإيمان ويعلم الناس الإنحراف، كتعاليم المنحرفين عن تعليم الكنيسة؛ وهنا نرى نوعين من الخطأ: خاطئ يقبل التوبة ويعود عن غيّه ومثله المجدليّة³⁷¹ والابن الشاطر³⁷²... وخاطئ لا يقبل التوبة، ولا يريدّها أو يذعن للحقّ كالفريسيين وهراطقة هذه الأيام والمنحرفين...

هناك وجه الشرّ الأعظم، حسب ما يراه البعض، وهي المحن والآلام والمصائب التي تصيب البريء فيقبلها هذا برحابة صدر واستسلام لمشيئته تعالى³⁷³، عالمين أن بعد الآلام صحّة جيّدة، كمحنة أيوب الذي كان رمزاً للمسيح الفادي، ولا يتّضح سرّ الألم في الوجود إلا على ضوء آلام المسيح، ولكن كلّ هذه الآلام ستؤول إلى خير البشريّة عموماً، إن عرفت هذه البشرية الاستفادة منها. فأتعاب الفلاح لا يريحها إلا جني الموسم الفائض، والمرأة التي تتألم في المخاض تفرح عند ولادتها إنسان³⁷⁴...

قد كان الضيق والألم للأنبياء بوتقة انصهروا فيها، فأشرقت أعمالهم وأضاءت لهم الطريق المؤدّي إلى رجاء القيامة...

المريض المتألم، نراه، بعد أن يكون قد ذاق المرارة والشدة قد شفي وعاد إلى

³⁷⁰ يوحنا 32/7 و53/11 و56-57.

³⁷¹ مرقس 9/16 ولوقا 2/8 ويوحنا 11/8.

³⁷² لوقا 11/15-32.

³⁷³ متى 39/26 مرقس 31/14 لوقا 41/22.

³⁷⁴ يوحنا 21/16.

مجتمعه صحيحًا معافى، والطبيب الذي يبتر أحد أعضاء المريض، إذ يرى أن لا صحة للمريض إلا ببتر العضو الذي لا يرجى شفاؤه، وهذا يكون لخير المريض وحفظ حياته... ولهذا العمل معنيان: الأول: قطع كلّ عادة رديئة ولئن كان فيها نوع من الخسارة المادية، والثاني: تحمّل مشاق الحياة حبًا برّب الحياة ورجاء اكتساب الخيرات التي لم تسمع بها أذن ولا تراها عين ولم تخطر على قلب بشر³⁷⁵. ومعناه: أنّ الربّ يسوع خلّصنا من الخطيئة وفتح لنا باب الحياة الأبدية بالرجاء الذي وضعه نصب عيوننا. وهكذا كانت آلام المسيح وما زالت لخير البشريّة ورفعها إلى مجد جسده³⁷⁶، وإرجاعها إلى حالة البرارة، شرط معرفة كفيّة الاستفادة من ذلك؛ وعندها نصل جميعًا إلى فرح القيامة...

³⁷⁵ 1 قورنثس 9/2 أشعيا 3/64 إرميا 16/3.

³⁷⁶ فليبي 21/3.

الكنيسة

من هي الكنيسة؟

كثيرون لا يرون من الكنيسة إلا البناء الضخم والهندسة الفخمة، وفي داخل هذا البناء يتجلى الفن الرائع: من رسوم وإيقونات، رسمها فنانون لهم شهرتهم في عالم الفن، كما يرون في داخل هذه الكنيسة - البناء - جماعة من الناس منتظمين تنظيمًا حسنًا، يرددون كلمات قد لا تتعدى أفواههم، مجتمعين حول عبادة معينة، توارثها عمّن سبقهم، ولا يتعدون حدود البشريّة الهوليّة. يدخل هؤلاء إليها ليقوموا شعائر عبادتهم الموروثة ثم يخرجون وكأنّ شيئًا لم يحدث في عمق أعماق داخلهم، إذ هكذا اعتادوا... ومن هذا الباب راح شهود يهوه يدخلون ويدخلون معهم تعاليمهم الهدّامة، كما يدخل غيرهم ممّن انحرف عن الإيمان القويم... قد يقول لي بعضكم: هل الإيمان الكاثوليكي هو الصحيح؟ فأجيب: إنّ الإيمان الذي عليه جماعة كبيرة من الناس، وأكثرهم عالم علامة، هو الإيمان الصحيح، في حين أنّ هناك إجماعًا على إيمان، ولكنّه مشوب بالمعارضة، أو التفكك، أو لينبثق منه إيمان مغاير له، كما هو الواقع الذي يشهد...

هذه كنيسة لم ير فيها بعض الناس سوى المظهر البشري، وبسبب هذه الرؤيا السطحيّة نشأت الخلافات في التفسير والعقائد، وتوزّعت الآراء، فكانت الطوائف، فهي إمّا متّحدة في عقيدة واحدة، وتفسير أجمع ويجمع عليه الجميع، وإمّا متفرّقة العقائد والأهواء، كما قال بولس الرسول: "... أنا لبولس وأنا لأبليس وأنا لبطرس وأنا للمسيح. فهل أنقسم المسيح؟"³⁷⁷. وهذا ما يعرقل الرسالة المسيحيّة، إن لم يقدها. هذا على ما أراه بمنظار الحقيقة والواقع، ما هي عليه الكنيسة - عساني أكون مخطئًا - ومن هنا كان موضوع كلمتي هذه: "ما هي الكنيسة؟".

طلع علينا نبا يقول: هناك اتفاق بين جميع الطوائف المسيحيّة - لا أقول الكنائس -

³⁷⁷ 1 كورنثس 1/12-13.

من كاثوليكيّة وأرثوذكسيّة وإنجيليّة، على التعاون المتبادل بين الجميع، وعلى نبذ كلّ جدال وكلّ نشاط معاكس، فحمدنا الله، ولكن ما كانت النتيجة؟ وإلى ما آل إليه ذلك الاتفاق؟

كانت النتيجة: أن نشطت بعض الفرق الإنجيليّة إلى التغلغل في صفوف الكنائس الكاثوليكيّة، فضلاً عن تغلغلها في الكنيسة الأرثوذكسيّة، وراحت تنفتّ فيها سمومها وتشرّد العائلات، وتمزّق صفوفنا، مضافة إلى جماعة يهوه الهدّامة... معاول كثيرة تعمل جاهدة على هدم هذه الكنيسة المؤسسة الإلهيّة، وواقعنا يشهد. ولست بصدد تفاصيل ذلك... لأنّ هذا يطول، ولا نصل معه إلى نتيجة ترضي الله وترضي الضمير والإنسان، بل نصل إلى غير ما يحب الله، وإلى غير ما يرضي الضمير. هذا، على ما أراه، أنا بمنظار الحقيقة والواقع الأليم، ما هي الكنيسة...

2. من هي الكنيسة؟

"بنيتم على أساس الرسل والأنبياء والمسيح نفسه هو حجر الزاوية"³⁷⁸ يدنّا بولس، بهذه الآية، على قيام كنيسة، ليست مبنية من حجر رخامي مصقول، ومراقبة مهندسين واجتهاد عمّال ورسّامين، هي نحن حجارتها الحيّة؛ إذ نبني أنفسنا بيتاً روحياً، فنكون، عندها، كهنوتاً مقدّساً نقرّب الله ذبائح روحية يقبلها الله بيسوع المسيح، الذي هو حجر الزاوية المختار، والمؤمن به لا يخزى³⁷⁹. ليس معناه، أن يكون لنا مركز في هذا البناء فقط، بل أن نكون نحن حجارة ببناء نسهم فعلاً بذاتنا في قيام هذه الكنيسة، التي هي نحن، لا أن تكون الكنيسة بيتاً غير منظور، بل بيتاً إلهياً بينه الروح القدس ويقم فيه "أما تعلمون أنّ أجسادكم هي هيكل الروح القدس"³⁸⁰؛ ولم يقل "هيكل" لأننا نحن "على

³⁷⁸ أفسس 2/20.

³⁷⁹ 1 بطرس 5/2-6.

³⁸⁰ 1 كورنثس 6/19.

كثرتنا جسدًا واحدًا، لأنّ هناك خبزًا واحدًا، ونحن نشترك في هذا الخبز الواحد"³⁸¹، فإذا ما بنينا، نحن، أنفسنا بناءً متينًا، على أساس الرسل والأنبياء، وحجر زاويتنا، الذي يربط البناء كله، ويثبتّه ضدّ العواصف والرياح، هو المسيح؛ نصبح حصنًا حصينًا تجاه كلّ تيّار، ونصدّه، فلا يعود شيء يززعنا أو يثنيينا عن عزمنا. بوليكر بوس (76؟ - 156 م.) وقف بوجه المضطهد وقال له: "ها قد بلغت الثمانين وأنا مع المسيح ولم أر منه إلا كلّ خير، فلن أتركه وقد فني عمري"... باسيليوس الكبير (330 - 379) وقف بوجه فالانس الأريوسي (364 - 378)، ولم يرهبه، وأوقفه عند حدّه، وأفهمه: "أنّ الكنيسة ليست حجرًا، بل الكنيسة هي بشر...".

لم يبين المسيح كنيسة ما ولا كاتدرائيّة ما، في أي مطرح من مطارح الأرض، بل أقام كنيسة حيّة لم تبناها "أيد بشرية"³⁸²، وهذه الكنيسة هي نحن... لو راجعنا أو فتشنا، في العهد الجديد، عن كلمة: "كنيسة"، لا نجد بناء ولا قبة ولا جرسًا بل نجد أنفسنا نحن: الأنا والأنت والهو، إذ ليس هناك، "... عبد ولا حرّ، ولا رجل ولا امرأة... بل كلنا في المسيح واحد"³⁸³. ألم يقل لنا الربّ يسوع: "حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي كنت بينهم؟"³⁸⁴. فهل نحن نجتمع كما أردنا المسيح أن نجتمع؟ المسيح جعل البعيدين قريبين، لأنّه هو سلامنا، الذي أبطل بجسده العداوة وخلق من الاثنين واحدًا، وصالح الجميع مع الله بصليبه³⁸⁵...

لم يرسل المسيح تلاميذه ليبنوا كنيسة، بل ليقيموا ويؤسسوا كنيسة "أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يعملوا بكلّ ما

³⁸¹ 1 كورنثس 17/10.

³⁸² عبرانيين 24/9.

³⁸³ غلاطية 28/3.

³⁸⁴ متى 20/18.

³⁸⁵ راجع أفسس 16-13/2.

أوصيتكم به وها أنا معكم طول الأيام إلى انقضاء الدهر"³⁸⁶. فالكنيسة، من منطلق العهد الجديد هي نحن، ونحن علينا واجب إلزامي أن نسعى إلى تبشير غير المؤمنين، وندعوهم إلى عرس الحمل³⁸⁷، ونجلس جميعاً إلى مائدة الرب، إلى وليمة "عرس الحمل"³⁸⁸.

الكنيسة هي جسد المسيح السرّي، وما كان جسد المسيح حجراً، أو بناء، نحن هنا كنيسة حقيقية، هنا الكهنة الذين أقامهم الربّ فيها، وهنا نحن أعضاء جسد المسيح³⁸⁹. وبولس أشار إلى التراتبية الكنسية: "أنتم جسد المسيح وكلّ واحد منكم عضو منه. والله أقام في الكنيسة الرسل أولاً والأنبياء ثانياً والمعلمين ثالثاً..."³⁹⁰. الكنيسة مؤسسة إلهية وإنسانية في آن معاً، فالإنسان يجد في الكنيسة النور والغفران والنعمة للتسييح بمجد الله، بما أننا نلنا ختم الروح القدس³⁹¹، وهذه المؤسسة هي فريدة في تصميمها، لأنه تصميم إلهي، وفي قيامها لأنّ الله أقامها، فما علينا، نحن، أعضاء جسد المسيح، إلا أن نعمل لامتداد هذه الكنيسة الواحدة في تعليمها وإيمانها و عملها وأسرارها الإلهية...

نرى في الرؤيا أسماء لسبع كنائس³⁹². وهي أفسسس، سميرنا أو إزمير، برغامس (برجما)، تياطيرة (آق حصار)، سرديس (عاصمة مملكة ليديا القديمة)، فيلادلفيا (اسم يوناني لعمّان)، اللاذقية (اسمها اليوم: إسكي حصار: واحدة في تركيا وواحدة في سورية)³⁹³؛ وهذا ليس معناه، أنّ هذه الكنائس منفصلة عن بعضها، أو كلّ منها تعلم تعليماً مغايراً للأخرى، لا، بل إنّها كنيسة واحدة مهما اختلفت الأسماء، وهي كالأبرشيات

³⁸⁶ متى 28/19-20، وراجع مرقس 16/15-20 ولوقا 24/48-49 وأعمال 8/1.

³⁸⁷ رؤيا 7/19.

³⁸⁸ رؤيا 7/19-9.

³⁸⁹ روما 4/12-5.

³⁹⁰ 1 كورنثس 12/27-28.

³⁹¹ أفسس 1/12-14.

³⁹² رؤيا 4/1.

³⁹³ رؤيا فصل 1 و2.

في يومنا، وما تعلمه الواحدة هو ما تعلمه الأخرى (التعليم الكاثوليكي واحد في كلّ أصقاع الأرض). ألم يقل بولس "لو بشرناكم نحن أو بشركم ملاك من السماء بخلاف ما بشرناكم به، فليكن ملعوناً... إن بشركم أحد بخلاف ما تلقيتموه، فليكن ملعوناً"³⁹⁴.

إنّ الله قد أعدّ خطة طويلة المدى، إذ سار بالعالم خطوة خطوة، ليجمع شمل أبنائه المشتتين³⁹⁵؛ فالكنيسة هي جماعة البشر المتمتعين بالخلاص³⁹⁶، وهذه الخطة قد رسمها الله قبل "إنشاء العالم"³⁹⁷، وجعلها لخلاص البشر...

إنّ الله، قبل أن يقع الإنسان في الخطيئة، دعا الإنسان ليعيش في جماعة، إذ ينمو ويتكاثر³⁹⁸، ويتمتع بصداقة وثيقة مع الله³⁹⁹؛ لكن لما وقعت الخطيئة، أصبح آدم أباً لبشريّة متفكّكة، فرّق البغض والحسد بينها⁴⁰⁰، بدلاً من أن يكون أباً لشعب متآلف يعيش مع الله، فهربت البشريّة المتفكّكة من وجه خالقها⁴⁰¹. لذلك كان لا بدّ من آدم جديد⁴⁰²؛ وادم الجديد هذا يؤسس خليقة جديدة⁴⁰³. فإنه، مع الخليقة الجديدة لا ينفع الختان ولا عدمه، بل إنّ ما ينفع هو أن يكون الإنسان خليقة جديدة، والسلام والرحمة على من يسلك هذا السبيل⁴⁰⁴ ... هذا ما علينا أن نكونه...

³⁹⁴ غلاطية 9-8/1.

³⁹⁵ يوحنا 5/11.

³⁹⁶ أعمال 47/2.

³⁹⁷ أفسس ¼.

³⁹⁸ تكوين 28-27/1 وتكوين 18/2 وتكوين 2-1/9.

³⁹⁹ تكوين 8/3.

⁴⁰⁰ تكوين 9-8/11.

⁴⁰¹ تكوين 8/3 و14/4.

⁴⁰² 1 قورنثس 45/15 وكولسي 11-10/3.

⁴⁰³ 2 قورنثس 18-17/5.

⁴⁰⁴ غلاطية 16-15/6.

3. مراحل الكنيسة

إنّ الكنيسة، التي هي نحن، قد مرّت بمرحلتين أساسيتين:

مرحلة سماوية

قد أعدّها الله، منذ البدء، لخلاص الإنسان، وراح الله يسير بهذا الإنسان نحو الخلاص خطوة خطوة، وفي كلّ خطوة يريه رمزاً من رموز الخلاص، ومن رموز التجسّد الإلهي.

مرحلة أرضية

بدأت هذه المرحلة بطيئة، بالنسبة لانتظار الإنسان هذا الخلاص، وقد شبّهها الربّ يسوع بحبّة الخردل، التي تنمو ببطء ثمّ تصبح شجرة وارفة الظلال، فتعشّش فيها طيور السماء⁴⁰⁵. ولم تلبث الكنيسة هذه التي بدأت صغيرة حتّى انتشرت في العالم كله، ولكن، لا ننس أنّه من يوم نشوء الكنيسة إلى يوم الحصاد، لا بدّ من نمو زؤان الخطيئة والشرّ، الذي يزرعه الشرير مع الزرع الجيّد⁴⁰⁶...

نرى في مرحلة الكنيسة الأرضية: حياة يسوع البشرية، الذي بفضل تعليمه وقهره للشيطان، وجمعه رسله الكرام وكثيرين غيرهم، جعل الملكوت حاضراً بين البشر "إنّ ملكوت الله هو فيكم"⁴⁰⁷. ونرى أيضاً: زمن الكنيسة، إذ قال الربّ لبطرس: "أنت صخر وعلى هذا الصخر سأبني بيعتي، وقوّات الجحيم لن تقوى عليها"⁴⁰⁸، أي أقام كنيسة لم تصنعها يد إنسان⁴⁰⁹، وجعل في هذه الكنيسة الذبيحة⁴¹⁰، التي بها أسّس جماعة العهد

⁴⁰⁵ متى 13/31-32.

⁴⁰⁶ متى 13/24-30.

⁴⁰⁷ متى 12/28 لوقا 17/21.

⁴⁰⁸ متى 16/18.

⁴⁰⁹ مرقس 14/58.

⁴¹⁰ متى 26/28.

الجديد، وهذه الجماعة هي نحن. ونرى أيضاً قيامته من بين الأموات، إذ بعدها حصل جمع القطيع المشنتت، إذ أنه له المجد، قال: "ستركوني كلكم في هذه الليلة، لأنه مكتوب: اضرب الراعي فتبدد الخراف، لكن بعد قيامتي أسبقكم إلى الجليل..."⁴¹¹. كما نرى: خراب أورشليم، الذي بعدها استبدل الله الشعب اليهودي بالكنيسة⁴¹²...

4. ولادة الكنيسة

ولدت الكنيسة، التي هي نحن، يوم فصح المسيح، عندما انتقل من هذا العالم إلى أبيه⁴¹³، فظهرت مع المسيح الذي انتصر على الموت والجحيم، وأصبح "روحاً محيياً"⁴¹⁴، بشريّة جديدة واحدة⁴¹⁵؛ كما تقدّم القول فكما ولدت حواء الأولى من جنب آدم وهو مستغرق في النوم، هكذا ولدت الكنيسة من جنب المسيح أثناء سبات الموت، فكانت الكنيسة، في رأي أكثر الأباء، حواء الجديدة التي لا تزال تولد الأبناء والبنات من حوض المعمودية ومن الذبيحة الإلهية. وهذان السرّان ينقلان إلى الكنيسة الحياة، فهل بقينا في هذه الحياة؟

بعد ولادة الكنيسة من جنب المسيح القائم من الموت، عمّدها وأفاض عليها المواهب الروحية بالروح القدس⁴¹⁶؛ وجعل رسله، نواة الكنيسة شهوداً له "في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض"⁴¹⁷، وبعد صعود الربّ إلى السماء، وبعد حلول الروح القدس الذي منحها القوّة، أخذت الكنيسة تنتشر شيئاً فشيئاً...

⁴¹¹ مرقس 28-27/14 ومتى 32-31/26 وزكريا 7/13.

⁴¹² راجع متى 39-37/23 وراجع أيضاً حزقيال 34/كله، إرميا 6-1/23 وإرميا 10/31 وزكريا 17-4/11 الخ.

⁴¹³ يوحنا 1/13.

⁴¹⁴ 1 قورنثس 45/15.

⁴¹⁵ أفسس 15/2 وغلاطية 15/6.

⁴¹⁶ أعمال 4/2.

⁴¹⁷ أعمال 8/1 ومتى 20-19/28 ومرقس 15/16 ولوقا 48-47/24.

بما أنّ الكنيسة شركة في جسد ودم المسيح⁴¹⁸، انتقلت هذه الشركة إلى إنشاء
اشتراكية مقدّسة، حتّى في الخيرات الماديّة "حتّى إنّهُ لم يكن أحد منهم يقول أنّه يملك
شيئاً من أمواله، بل كان كلّ شيءٍ مشتركاً بينهم"⁴¹⁹.

اكتشف بولس الوحدة السريّة القائمة بين المسيح والكنيسة، عندما قال له الربّ على
طريق دمشق: "لماذا تضطهذي؟"⁴²⁰، عرف بولس أنّ اضطهاده للمسيحيين أي للكنيسة،
هو اضطهاد للمسيح، لأنّ الربّ يسوع قال: "من قبلكم قبلني، ومن قبلني قبل الذي
أرسلني"⁴²¹. فالكنيسة، من هذا المنطلق، هي مؤسّسة إلهيّة ونحن جميعاً إكليروساً
وعلمانيّين، نواتها وهيكل الله وروحه قد حلّ فينا، ومن هدم هيكل الله هدمه الله، لأنّ هيكل
الله مقدّس، وما هذا الهيكل إلا نحن⁴²²؛ وبما أنّنا هيكل الله نتحد به اتحاداً وثيقاً لأنّه هو
اتحد فينا وبنا أولاً لأنّه أحبّنا، إذ نحن كنيسته، أي جسده⁴²³؛ وإذ ذلك نستطيع أن ندعو الله
بدالة قائلين "أباً، أيّها الأب"⁴²⁴.

5. قيام الكنيسة وركيزتها

لقد قامت الكنيسة على ثلاثة أمور، وكذلك كلّ عمل يقوم به الإنسان:

الأوّل، محبة الله فوق كلّ شيء، من كلّ القلب والفكر والنية⁴²⁵.

محبة القريب أيّاً كان هذا القريب، كما نحبّ نفسنا، فإنّ محبة القريب أفضل من أيّ

⁴¹⁸ 1 قورنثس 10/16-17.

⁴¹⁹ أعمال 4/32.

⁴²⁰ أعمال 9/4.

⁴²¹ متى 10/40.

⁴²² 1 قورنثس 3/16-17.

⁴²³ أفسس 5/21.

⁴²⁴ روما 8/15 وغلطية 4/6.

⁴²⁵ متى 22/34-40 مرقس 12/28-31 لوقا 10/25-28، تثنية 6/4-5 أحيار 18/19.

محرقة وذبيحة: "إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من المحرقات"⁴²⁶.

محبة الأعداء، قد أوصى السيّد، له المجد، بأن نحبّ أعدائنا ونبارك لاعيننا "سمعتم ما قيل للأولين: أحبب قريبك وأبغض عدوك، أمّا أنا فأقول لكم: أحبّو أعدائكم، صلّوا من أجل مضطهديكم، لتصيروا بني أبيكم الذي في السماوات"⁴²⁷، وهكذا كان يفعل المسيحيّون الأوّلون. القديس اسطفان صلّى لأجل راجميه⁴²⁸.

الثاني، التضحية حتّى بذل الذات للخير العام، فالمسيح قد ضحّى بذاته "ما من حبّ أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبائه"⁴²⁹.

الثالث، العطاء دون مقابل "من سألك فأعطه، ومن استقرضك فلا تردّه خائباً"⁴³⁰.

المسيح أعطى بسخاء، وما من أحد يستطيع أن يعطي ما أعطى المسيح، فإنّه أعطانا جسده مأكلاً ودمه مشرباً⁴³¹. أعطانا العذراء الطاهرة أمّا لنا بشخص يوحنا الحبيب "يا امرأة هذا ابنك، يا يوحنا هذه أمّك"⁴³²، وبالتالي أعطانا الحياة الأبدية.

هكذا قامت الكنيسة، وليس بمظاهر خارجيّة، بل لنقل مع العسّار: "ارحمني يا ربّ أنا الخاطئ"⁴³³.

⁴²⁶ هوشع 6/6.

⁴²⁷ متى 43/5-45.

⁴²⁸ أعمال 60/7.

⁴²⁹ يوحنا 13/15.

⁴³⁰ متى 43/5 لوقا 30/6.

⁴³¹ يوحنا 51/6-58.

⁴³² يوحنا 19/26-27.

⁴³³ لوقا 13/18.

بيع يسوع "... فوزنوا أجرتي..."

منذ نيّف وتسعة عشر قرناً، ما عدا السهو والغلط وفرق الحساب والتقديم والتأخير، لم تنزل عمليّة بيع يسوع مستمرّة، والثمن يقبض، تارة فضّة وأخرى موادّاً، وغيرها عتاداً، أو دمّاً بشريّاً، ولكن ليس على مذبح شهادة الإيمان...

لا يزال بيع يسوع مستمرّاً، ويهوذا يقبض، وببلاطس يغسل يديه... وهذا اليسوع ينتقل مباعاً من يد إلى يد، ومن عاصمة إلى عاصمة، والأسوأ من ذلك أنّ البائع والشاري يقسمون باسم يسوع، ويؤمنون... ولكنهم لا يعملون بتعاليمه...

كلّما تبدو تعاليم يسوع للعيان تعمد جماعات الإسخريوطي إلى طمسها، ويرفعون إلى ارتحششتنا الأوّل تقريراً (464 - 424 ق.م.) تقريراً يعلمونه باضطرام النار فوق الذبيحة... فدعاها نفطاراً⁴³⁴. راح هذا الملك يفتّش عن ذلك النفطار ضارباً عرض الحائط بالبلاد والعباد، والله والملائكة والأنبياء والقديسين حصولاً على ذلك النفطار...

مسكين هذا اليسوع الذي يباع كلّ يوم، وفي كلّ يوم ينقل من هيرودس إلى حنان أو قيافا فببلاطس وهكذا دواليك... يا يسوع لا تزال تباع فمتى يتوقف البيع؟

يا ربّ أوقف بيع "يسوع" ابنك، ألم يحن الوقت لوقف هذا البيع؟

⁴³⁴ 2 مكابيين 33/1-36.

النعمة

النعمة هي إظهار محبة الله للخطاة خاصة، وللإنسان عامة، فالخطاة تخلصهم من الخطيئة وتطهرهم بدون أن يستحقوا ذلك ومجاناً⁴³⁵. وقد وردت كلمة النعمة في العهد القديم، عهد الرجااء، بمعنى الحظوة والمجد والشرف والإكرام، فقد قال الكتاب عن نوح: "أما نوح فقد نال حظوة - نعمة إكراماً - في عينيّ الرب"⁴³⁶، وبمعنى الكرامة كما قال إبراهيم للرب: "يا سيدي إن نلت حظوة - كرامة - في عينيك فلا تجزّ عن عبدك..."⁴³⁷. وكقول لوط للملاكين: "إنّ عبدك قد نال حظوة - محبة، كرامة - في عينيك، وعظمت رحمتك بإبقائك على حياتي..."⁴³⁸. وقال لابان ليعقوب ابن أخته: "إذا نلت حظوة - محبة، كرامة - في عينيك... وباركني الربّ بسببك"⁴³⁹ وكلها بمعنى حظوة، كرامة، نعمة، شرف.

أمّا في المزامير فقد جاءت بمعنى: الرأفة والحنان: "وتذكّر عهده وميثاقه لهم... وأبدي لهم رأفته - نعمته - عند الذين أسروهم"⁴⁴⁰. وأيضاً قوله: "... برحمته العلي - النعمة - لا يتزعزع"⁴⁴¹، وجاءت بمعنى: الظرف أو اللطف، قوله: "إنك أبهى جمالاً من بني آدم انسكبت النعمة - الظرف واللطف - على شفّتيك"⁴⁴²، وجاءت بمعنى: خيرات أو

⁴³⁵ روما 24/3.

⁴³⁶ تكوين 8/6.

⁴³⁷ تكوين 3/18.

⁴³⁸ تكوين 19/19.

⁴³⁹ تكوين 27/30 وأيضاً 6-5/3 و 10/33 و 29/47 وخروج 12/33-16 و عدد 11/11 وقضاة 17/6 و 2صموئيل أو 2

ملوك 22/14 إلخ.

⁴⁴⁰ مزمور 105 أو 46-45/106.

⁴⁴¹ مزمور 20 أو 8/21.

⁴⁴² مزمور 44 أو 3-2/45.

لذات في قوله: "أمام وجهك فرح وعن يمينك نعم - خيرات ولذات - على الدوام"⁴⁴³.
وهناك آيات كثيرة يذكر فيها الكتاب المقدس "النعمة" ولكنها لم تكن بالمعنى الذي
أرادته الكنيسة، لأنّ العهد القديم ذكرها بمعانٍ مختلفة، كما تقدّم القول، لأنّ عهد الخلق
ثلاثة:

الأول: عهد السقوط، يبدأ من سقوط آدم وحواء إلى نوح وأولاده⁴⁴⁴.

الثاني: عهد الرجاء أو الوعد والميثاق، يبدأ بدعوة إبراهيم⁴⁴⁵.

والثالث: عهد تحقيق الوعد أو عهد النعمة. وهذا العهد يبدأ بولادة الربّ يسوع المتجسّد، ويبقى
إلى الأبد⁴⁴⁶.

أخذ العهد الجديد معنى "النعمة" على وجه الحقيقة، كما في قوله: "فلا يكون
للخطيئة من سلطان عليكم، فلستم في حكم الشريعة، بل في حكم النعمة - البركة"⁴⁴⁷.
وعليه إنّ النعمة في العهد الجديد هي: بركة، موهبة، عطية إلهية مجانية تتضمّن كلّ
عطايا الله للإنسان، وعلى رأسها "هبة ابنه"، "إذا كان الله معنا، فمن يكون علينا؟ إنّ
الله الذي لم يضنّ بابنه نفسه، بل أسلمه إلى الموت من أجلنا جميعاً، فكيف لا يهب لنا
معهُ كلّ شيء"⁴⁴⁸. والنعمة لا تدلّ فقط على الهبة أو العطية، لمجرّد العطية أو الهبة، بل
هي نبع خيرات روحية وجسدية وفكرية متدفّق لا ينضب، بل يزداد أكثر فأكثر كلّما
تجاوبنا مع النعمة، أي عطية الله، وتجاوبنا مع النعمة ننال القبول والكرامة عند الله،
ونحصل على رضاه. وتدلّ كلمة نعمة، فضلاً عن نبع الخيرات الإلهية، على النتيجة التي

⁴⁴³ مزمو 15 أو 16/... 11.

⁴⁴⁴ تكوين من فصل 3 إلى آخر فصل 11.

⁴⁴⁵ يبدأ من فصل 12 من تكوين حتى آخر أسفار الأنبياء وما بينهم إلى ظهور المعمدان (متى 1).

⁴⁴⁶ كلّ العهد الجديد.

⁴⁴⁷ روما 6/14.

⁴⁴⁸ روما 8/31-32.

تحصل من ورائها...

النعمة هي أيضاً: **الحنان والعطف والمحبة المجانية** من الأعلى إلى الأدنى، كعطف الملك فرعون على يوسف⁴⁴⁹، كما تدلّ أيضاً على **النور الباطني** الذي يستنير به الإنسان، وعلى **المواهب** التي تشهد على السخاء الإلهي والكرم البشري.

1. النعمة في العهد القديم

لقد أوضح الله، في العهد القديم، عن أنّ **النعمة هي عطية الله للإنسان**، وأظهرها بصورة رموز مختلفة، وتجعلها بين العاطي أو المانح، وبين الذي ينال العطاء أو المنحة، وبمراجعتنا رسالة بولس إلى غلاطية نرى معنى النعمة في العهد القديم، إنّها تصرفات الله مع الشعب.

نرى الله، في العهد القديم، إلهاً رؤوفاً كثير المراحم طويل الأناة، وفي بوعوده⁴⁵⁰. **والنعمة في الله هي الحنان والأمانة والرحمة**، إذ عندما يرى الله مذلة شعبه "يحنّ ويتأف عليه ويرحمه"⁴⁵¹؛ ونتائج النعمة نراها في قوله: "اللهمّ ما أعظم رحمتك... بظلّ جناحيك يعتصمون ومن دسم بيتك يشبعون، ومن نهر نعيمك يرتوون، لأنّ ينبوع الحياة عندك، وبنورك نعاين النور..."⁴⁵². وفي قوله أيضاً: "إنّ رحمتك أطيب من الحياة..."⁴⁵³، وفي كلّ ذلك نرى: **سخاء الله ونعمته فيأضة أكثر بكثير ممّا نعطي نحن لأنفسنا أو لغيرنا، نحن نعطي بمئة، أمّا الله فيعطي بلا مئة وبفيض، وقد قال ابن سيراخ: "الربّ هو الذي حازها ورآها وأحصاها على جميع مصنوعاته... ومنحها (أنعم بها) لمحبيه"⁴⁵⁴، ونعمة**

⁴⁴⁹ تكوين 41/37-45.

⁴⁵⁰ خروج 34/5-6 ومواضع أخرى.

⁴⁵¹ خروج 3/7-9.

⁴⁵² مزمور 35 أو 36/8-10 ويوحنا 6/69.

⁴⁵³ مزمور 62 أو 63/4...

⁴⁵⁴ سيراخ 1/9-10.

الله لا يغار الله عليها، ولا يخزنها (بيخل بها)، بل نراه يمنحها لكل إنسان، وخاصة لمن يعطف عليهم، وقد عطف الله على شعب العهد العتيق إكراماً للسيد المسيح الذي سيتجسد من هذا الشعب "...أولئك الذين هم بنو إسرائيل ولهم التبني والمجد والعهود والعبادة والمواعد والأبء ومنهم المسيح من أنه بشر، وهو فوق الجميع إله مبارك أبد الدهور"⁴⁵⁵. وجاء قوله: "ليس لأنكم أكثر من جميع الشعوب تعلق الله بحبكم واختاركم...

بل لمحبة الرب لكم ومحافظته على القسم الذي أقسم به لآبائكم..."⁴⁵⁶.

والرب يسوع قال لتلاميذه: "أنتم لم تختاروني، بل أنا اخترتكم وأقمتكم (وهبتكم نعمتي) لتثمروا ويبقى ثمركم فيعطىكم (يمنحكم النعمة) الأب كل ما تسألونه باسمي"⁴⁵⁷، ويوحنا يقول لنا: "لسنا نحن الذين أحبنا الله بل هو أحبنا"⁴⁵⁸.

2. النعمة هي البركة

إن البركة التي يفيضها الله على مخلوقاته هي النعمة التي ما من أحد يستطيع منحها لأحد؛ فالبركة تشمل، فضلاً عن النعمة، الحماية والفرح والقوة، وتجعل بين الله وبين الإنسان لقاءً شخصياً "ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه، كما يكلم المرء صاحبه"⁴⁵⁹، وأيضاً "فكانت كلمة الرب إليّ: قبل أن أصورك في البطن عرفتك، وقبل أن تخرج من الرحم قدستك وجعلتك نبياً للأمم... لا تخف من وجوههم..."⁴⁶⁰. "والرب يطعم (ينعم على) حزقيال سفراً وأرسله إلى بيت إسرائيل..."⁴⁶¹. وبما أن الله هو أب حنون يرتب

⁴⁵⁵ روما 4/9-5 وروما 3/1

⁴⁵⁶ تثنية 7/7-8 ولوقا 54/1-55 وأشعيا 8/41-9 ومزمور 98 أو 3/99 وتكوين 12/3 و 13/15 و 22/18 ولوقا 1/68-

...79

⁴⁵⁷ يوحنا 16/15 و 1 قورنثس 12/26-30.

⁴⁵⁸ 1 يوحنا 4/1.

⁴⁵⁹ خروج 33/11.

⁴⁶⁰ إرميا 4/1-8 وأشعيا 7/6.

⁴⁶¹ حزقيال 3-1/3 وراجع رؤيا 10/8-11.

مصير كلّ بنيه، أب يمنحهم "النعمة" ويصرفهم ليحملوا بركاته إلى العالم⁴⁶². وما الاختيار سوى "النعمة" ينعم بها الله على إنسان فيختاره لعمل عظيم: "فإنكم تكونون لي خاصة... وأنتم تكونون لي مملكة..."⁴⁶³. لم يحفظ بنو إسرائيل وصيّة الله ولم يحافظوا على تلك النعمة بل طرحوها جانبًا "عرف الثور مالكة والحمار معلق صاحبه، وشعبي لم يفهم. ويل للأمة الخاطئة... تركوا الربّ واستهانوا بقدّوس إسرائيل..."⁴⁶⁴؛ وكثرة شرور بن إسرائيل⁴⁶⁵؛ وفواحشهم، يعود الله فيذكر عهده الخلاصي، ويعيد إقامة العهد مع الربّ يسوع⁴⁶⁶، ويمنح أورشليم النعمة من جديد، ويجعلها مدينة البرارة⁴⁶⁷، ويبدّل القلوب التي أبت أن تتوب⁴⁶⁸ إلى قلوب جديدة تعرف الله⁴⁶⁹؛ إذ يعمل في الجميع الروح القدس⁴⁷⁰، وبهذا تظهر نعمة الله وبركته بتجسّد يسوع المسيح⁴⁷¹.

3. نعمة الله تظهر واضحة في يسوع المسيح

إنّ الله أرسل لنا ابنه الوحيد، الصادر منه صدورًا أزليًا⁴⁷² "متجسّدًا في ملء الزمان من امرأة تحت الناموس"⁴⁷³، مع أنّه هو ربّ الناموس ومعطي الشريعة، ليخلص الذين

⁴⁶² أشعيا 45/8-13.

⁴⁶³ خروج 19/5-6 وأشعيا 7/6 و1 بطرس 9/2 ورؤيا 10/5.

⁴⁶⁴ أشعيا 4-3/1 وأشعيا 9/30 وإرميا 13/2 وإرميا 7/8.

⁴⁶⁵ راجع هوشع 2-1/4 وأشعيا 4/1 وإرميا 5-4/9 وإرميا 7/6 وحز 15/16-59.

⁴⁶⁶ حزقيال 60/16-63.

⁴⁶⁷ أشعيا 27-21/1.

⁴⁶⁸ إرميا 3-1/5.

⁴⁶⁹ هوشع 21/2 إرميا 40-31/31.

⁴⁷⁰ حزقيال 38-27/36.

⁴⁷¹ أشعيا 5-1/44 وأشعيا 8/45 و24 أشعيا 6/51 غلخ.

⁴⁷² ميخا 2-1/5 ويوحنا 1/1.

⁴⁷³ غلاطية 4/4.

تحت الناموس والشريعة، ويمنحهم النعمة المبررة⁴⁷⁴، ويجعل البشر كلهم في علاقة حميمة مع الله، وجعلهم يتدللون على الله وينادونه: "أبًا" بغنج ودلال كطفل صغير⁴⁷⁵... توضح، مع تجسد المسيح، معاني النعمة، وأدركت المسيحية ماهية وقيمة النعمة، وبأنها عطية لا أثنى ولا أعظم منها، لأن الله الأب أسلم ابنه الوحيد ليصالب لأجلنا، ويمنحنا موهبة غفران الخطايا⁴⁷⁶ ومع غفران الخطايا منحنا جسده ودمه مأكلاً ومشرّباً⁴⁷⁷. والنعمة، في الكنيسة، تختصر كل عمل الله، وكل ما يمكن أن نتمناه ونشتهيه من الخيرات.

الشريعة كانت على يد موسى، أما النعمة والحق، أي البركة والمواهب، فعن يد يسوع⁴⁷⁸؛ ولقد رأينا وتحققنا هذه المنحة، أي النعمة والحق في الكلمة المتجسد⁴⁷⁹، وعرفنا الله حق المعرفة في شخص يسوع المسيح، لأن الله روح⁴⁸⁰، لا يمكن لأحد أن يراه إلا ويموت⁴⁸¹، ولكننا رأيناه وعياناً في يسوع المسيح، إذ سأله فيليبس: "يا رب أرنا الأب وكفانا. فأجابه يسوع: أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفوني، يا فيليبس من رأيي فقد رأى الأب"⁴⁸²؛ وعمل يسوع هو من قبيل النعمة: "فلما ظهر لطف الله مخلصنا ومحبه للبشر، لم ينظر إلى أعمال بر عملناها، بل على قدر رحمته خلصنا بغسل الميلاد

⁴⁷⁴ غلاطية 4/4-5.

⁴⁷⁵ روما 15/8 وغلطية 6/4.

⁴⁷⁶ روما 32/8.

⁴⁷⁷ يوحنا 51/6-58 و1 قورنثس 11/23-32 ورؤيا 17/22 و24 ورؤيا 7/2 وأشعيا 1/55.

⁴⁷⁸ يوحنا 17/1.

⁴⁷⁹ يوحنا 14/1.

⁴⁸⁰ يوحنا 24/4.

⁴⁸¹ خروج 20/33.

⁴⁸² يوحنا 8/14.

الثاني والتجديد من الروح القدس"⁴⁸³؛ وأيضاً: "وأنت متّكل على قدرة الله الذي خلّصنا... وفقاً لتدبيره السابق والنعمة التي وهبت لنا في المسيح يسوع منذ الأزل..."⁴⁸⁴؛ وأيضاً قوله: "فقد ظهرت نعمة الله، ينبوع الخلاص لجميع الناس..."⁴⁸⁵؛ بمعنى، إنّ هذه النعمة التي منحنا إياها الله، ويمنحها لنا دائماً لأنه هو محبّة⁴⁸⁶؛ ومحبة الله هذه مكتملة فينا... بأنه من روحه وهب لنا"⁴⁸⁷. وبولس، في ضيقه، طلب اقتلاع الشوكة من خاصرته، فقال له الله: "نعمتي تكفيك"، أي عطيتي⁴⁸⁸.

لقد عرف يسوع الشقاء البشري فاتخذ جسداً وبهذا الجسد تألم لأجل خلاصنا⁴⁸⁹. ورسائل بولس كلها، لا تكاد تخلو من كلمة "نعمة"، إذ أحياناً يفتتح بها رسائله: "... يسوع المسيح ربنا به نلنا النعمة"⁴⁹⁰، وأيضاً "عليكم النعمة والسلام"⁴⁹¹، أو يختم بها رسائله "عليكم جميعاً نعمة الرب يسوع"⁴⁹². ويذكر بولس المواهب أي النعم التي أنعم الله بها علينا⁴⁹³ إذ يجعلها مواهب، ونعم الروح القدس... الخ.

ونرى بولس يقول: "إنّ الله دعاني من بطن أمي بنعمته"⁴⁹⁴. ومن النعم: مواهب

⁴⁸³ تيطس 3-4/5 ويوحنا 3/5.

⁴⁸⁴ 2 تيموثاوس 1/8-9.

⁴⁸⁵ تيطس 2/11.

⁴⁸⁶ 1 يوحنا 4/8 و16.

⁴⁸⁷ 1 يوحنا 4/12-13.

⁴⁸⁸ 9/12 قورنثس.

⁴⁸⁹ 1 بطرس 4/1.

⁴⁹⁰ روما 1/4-5.

⁴⁹¹ 1 قورنثس 1/3-4.

⁴⁹² 1 قورنثس 16/23 و2 قورنثس 13/13.

⁴⁹³ 1 قورنثس 12/1-11.

⁴⁹⁴ غلاطية 1/15.

الروح القدس الروحية والتي لا يمكن أن يرجع الله عنها "فلا رجعة في هبات الله ودعوته"⁴⁹⁵؛ كما إننا نحن البشر لا نتراجع أو نسترجع ما قد منحناه لأحدنا. وموهبة النعمة تأتينا بالمسيح "ليست الهبة على قدر الزلّة... فبالأولى تفيض... نعمة الله والعتاء"⁴⁹⁶. وهذه النعمة تثمر الحياة الأبدية، لأنّ "أجرة الخطيئة هي الموت، أما هبة الله فهي الحياة الأبدية"⁴⁹⁷. والله بالمسيح تبنانا بمجد نعمته التي "أنعم بها علينا"⁴⁹⁸...

منح الربّ كنيسته مواهب الأسرار وأقام كهنتها خداماً لهذه الأسرار⁴⁹⁹. والأسرار هي: المعمودية، التثبيت، القربان الأقدس، التوبة أو الاعتراف، مسحة المرضى، الكهنوت، الزواج. وكلّ سرّ يولي نعم خاصة للسرّ. فالمعمودية والتوبة هما أسرار الموتى، أعني أنّ النفس تكون ميتة بالخطيئة فتحيا بالمعمودية، وبالاعتراف وقبول الحلة⁵⁰⁰. أمّا باقي الأسرار فهي أسرار الأحياء. وهذه الأسرار تنمّي في الإنسان النعمة المبرّرة، وهي التي يقبلها الإنسان، وقد تهيأ لقبولها، والنعمة الحالية، وهي التي تؤهّب الإنسان ليرجع عن كلّ خطأ ارتكبه ويرجع إلى الله. ومواهب الروح القدس هي نعم يفيضها الله على الإنسان ليقوى على التجارب وعلى ذاته، وهذه المواهب هي: الحكمة، الفهم، المشورة، القوّة، التقوى، الشجاعة، خوف الله⁵⁰¹. وقد عدّد بولس المواهب أو النعم مراراً في رسائله⁵⁰². وهبنا الله وإياكم هذه النعم لنحظى برؤياه، كما هو⁵⁰³ حين

⁴⁹⁵ روما 29/11.

⁴⁹⁶ روما 16-15/5.

⁴⁹⁷ روما 23/6.

⁴⁹⁸ أفسس 7-5/1.

⁴⁹⁹ 2 قورنثس 21-18/5 و غلاطية 13/3 و 1 يوحنا 5/3 و 1 بطرس 24/2.

⁵⁰⁰ لوقا 11/15... الخ.

⁵⁰¹ راجع أشعيا 1/11 وأشعيا 12-1/42 وأشعيا 1/61... الخ..

⁵⁰² راجع 1 قورنثس 10-8/12 و 28 و روما 8-6/12 و أفسس 12-11/4... الخ.

⁵⁰³ 1 يوحنا 3/3.

يرفع جسدنا الحقير إلى مجد جسده⁵⁰⁴.

⁵⁰⁴ فيلبي 21/3.

العلاقات الجنسية قبل الزواج

إنّ الله تعالى خلق الإنسان ذكراً وأنثى⁵⁰⁵، وجعل هذا الإنسان على صورته ومثاله⁵⁰⁶، ونشأ عن ذلك تشابه روحي بين الله والإنسان، وتشابه ماديّ باعتبار تجسّد ابن الله، المولود من الآب "منذ أيام الأزل"⁵⁰⁷، "في ملء الزمان"⁵⁰⁸، واتخذ "صورة العبد وصار كبشر في الهيئة"⁵⁰⁹، وباركهما الله، وقال لهما: "أنمو واكثروا واملأوا الأرض"⁵¹⁰، وتميّز الإنسان عن الحيوان بالعقل والإدارة والقدرة والمعرفة، فسيطر على الطبيعة، وبما أنه أسمى خلقاً وخُلُقاً عن الحيوان، وجب أن يجد لذاته شريعة أدبيّة تحدّ من جماح الشهوة، وتسمو به عن الحيوان، لأنّ الإنسان يشبه الملاك بالعقل العاقل، ويشبه الحيوان بالشهوة، فإن أطاع عقله العاقل سما حتّى عن الملائكة، وإن جنح إلى شهوته انحطّ عن الحيوان، فكان له الزواج شريعة إلهيّة، يرفعه عن الدنيا، ويبعده عن الانحطاط الخلقى...

جاء في العهد القديم مديحاً للبننت العذراء: "إنّ البتوليّة مع الفضيلة أجمل فإنّ معها ذكراً خالداً لأنها تبقى معلومة عند الله والناس، إذا حضرت يقتدي بها وإذا غابت يشتاق إليها..."⁵¹¹، كما يذمّ المنافق ونسله: "أمّا لفيف المنافقين الكثير التوالد فلا ينجح وفراخهم النغلة... والمولودون من المضجع الأثيم يشهدون بفاحشة والديهم..."⁵¹²، ... الحفاظ على الطهارة خير لمستقبل كلّ من الشاب والصبيّة على حدّ سواء... وفي تفاصيل

⁵⁰⁵ تكوين 27/1 ومتى 4/19.

⁵⁰⁶ تكوين 26/1.

⁵⁰⁷ ميخا 2/5.

⁵⁰⁸ غلاطية 4/4.

⁵⁰⁹ قيليبي 7/2.

⁵¹⁰ تكوين 28/1 و 1/9.

⁵¹¹ الحكمة 1/4-2.

⁵¹² الحكمة 2/4-6.

ذلك طرق كثيرة لإظهار هذه الرذيلة، أي الاتصال قبل الزواج، لأن الاختيار يكون بالعقل والمعرفة والإدراك والآداب، وليس بالعمل الجنسي...

إنّ تعاليم السيّد المسيح في العمل الجنسي هي كلّ فكر بهذا الصدد، كما قال الربّ يسوع: "من نظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها قلبه"⁵¹³، وكلّ قول بذيء أو تعبير بالعمل، فهو خطيئة، لأنّ نظر العين تتبعه شهوة القلب...

يعلمنا بولس الرسول: "على الإنسان أن لا يمسّ امرأة، ولكن خوفاً من الزنى، فليكن لكلّ رجل زوجته ولكلّ امرأة زوجها"، إلى أن يقول: "لا سلطة للمرأة على جسدها لأنّه لزوجها، ولا سلطة للرجل على جسده لأنّه لزوجته"⁵¹⁴. وأنا أقول: يجب على البنت أن تحافظ على عفتها وعذريّتها وطهارتها قبل الزواج حتّى تبقى شامخة الرأس في محيطها وفي كلّ محيط هذا القول هو من الأهميّة بمكان، لأنّه يرشد الشاب والصبية إلى ما يجب عمله للحفاظ على الطهارة الحقيقيّة، ويتمنّى بولس أن يكون الإنسان ضابطاً لنفسه، محترماً لجسده، وبالتالي أن يكون مثله بتولاً لا ينحرف إلى الأعمال الجنسيّة المحرّمة، وإن "لم يستطع فليتزوّج بالربّ"⁵¹⁵.

شرح الربّ يسوع معنى الزواج المقدّس بأنّه اتّحاد رجل واحد وامرأة واحدة ليكونا جسداً واحداً في شركة الله، وإنّه ليس من فراق بين الرجل والمرأة إلاّ بالموت، ويقول بولس في ذلك: "ترتبط المرأة بشريعة الزواج ما دام زوجها حيّاً، فإن مات عادت حرّة تتزوّج من تشاء، ولكن زواجا بالربّ..."⁵¹⁶. ولما رأى تلاميذ الربّ يسوع شريعة الربّ في الزواج وأنّه جعله غير قابل الانحلال قالوا له: "إذا كانت حالة الرجل مع المرأة هكذا

⁵¹³ متى 28/5.

⁵¹⁴ 1 كورنثس 7/1-4.

⁵¹⁵ 1 كورنثس 7/9.

⁵¹⁶ 1 كورنثس 7/29.

فخير له أن لا يتزوج⁵¹⁷. عند ذلك قال لهم الرب يسوع. "ما كل واحد يحتمل هذا الكلام إلا من وهبه الله..."⁵¹⁸، وبولس يشدد في الوصية "يجب أن يكون الزواج مكرماً وفراش الزوجية طاهراً"⁵¹⁹.

بعد أن ذكرنا، باختصار، أعمال الجسد خارج الزواج، وداخل الزواج ومقدار طهارة الإنسان وكرامته. أرى أن كل ملامسة جنسية خارج الزواج تحط من قيمة الإنسان، وتجعله، نوعاً ما، بعيداً عن الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، وقد جاء في الكتاب المقدس... "الصيت أفضل من الغنى الكثير والنعمة خير من الذهب"⁵²⁰، قد يقع الإنسان، باللامسات الجنسية قبل الزواج، في ورطة، إذ قد تحبل البنت، والشاب لا يريدانها، أو أنه يتسلى معها، وهذه التسلية هي جد خطيرة، فماذا يحلّ بالبنت، أو بالشباب؟ فقد يحصل هناك جريمة قتل بإجهاض الجنين، الذي هو ثمرة الزنى، وأمّا الفضيحة، فيما لو رفض الفاعل أن يتزوجها، أو أنكر فعلته، وهذا ما نراه في واقعنا اليومي، فيكون كلاهما قد فقدوا محبتهم الله، بطريقة غير مباشرة، وأغضباه... والبنت جعلت من جسدها سلعة رخيصة، وعرضت شرفها إلى الامتهان والاحتقار...

قد يقال: إن العلاقة الجنسية هي لإطفاء الشهوة ولكن هذه الشهوة قد تكبل الإنسان بقيودها، وتجعله أسيراً لها لا يستغني عنها، فيأخذ الإنسان عندها بالتنقل من مكان إلى آخر، ومن شريك إلى شريك آخر إتماماً لهذا العمل فينسى الله وكل علاقة له مع الله... لقد صرّح القديس توما الأكويني عن العلاقات الجنسية بأنها لا تجوز إلا في الزواج ولأجل إنجاب البنين. وجاء في الكتاب المقدس: "... وبعد انقضاء الليلة الثالثة تتخذ البكر

⁵¹⁷ متى 10/19.

⁵¹⁸ متى 11/19...

⁵¹⁹ عبرانيين 4/12.

⁵²⁰ الأمثال 1/22.

بخوف الربّ وأنت راغب في البنين أكثر من الشهوة...⁵²¹، وتوما يكرّر: "إنّ العمل الجنسي في الزواج ليس خطيئة شرط كبت الشهوة وطلب المتعة وأن يكون في سبيل التناسل..."، قد كان هناك تعليم يلزم الزوجين الامتناع عن العمل الجنسي امتناعاً تاماً مدة ثلاثة أيام قبل تناول جسد الربّ، أخذاً عن قول بولس: "لا يمتنع أحدكما عن الآخر إلا على اتفاق بينكما وإلى حين حتّى تتفرّغاً للصلاة... لنلا يجربكما الشيطان..."⁵²²، وكذلك طيلة أيام الصوم، والحجة في ذلك، إنّ اللذة الجنسيّة لا تتفق مع الحياة الروحيّة...

إنّ الإنسان بابتعاده عن الجنس يستطيع السيطرة على ذاته، وبالوعي الكامل يسيطر على الطبيعة أيضاً، ويكسب احترام الناس وثقتهم، لا أقول هذا لأمنع التعارف أو التحاب بين الشباب والبنات، إنّما أدعو إلى الاحترام المتبادل وازدياد الثقة بين الاثنين، وأحترم الزواج والجنس الذي شرّعه الله، ونقله من المتعة الحيوانيّة، أو، كما يقول البعض، الحاجة الجسديّة لتخفيف الضغط الجسدي، إلى العمل العالي الذي من شأنه إكمال العمل الخلقى الذي أمر به الله: "أنموا وأكثروا واملأوا الأرض"⁵²³، وهكذا نمجد الله، ويكون عملنا عملاً إلهياً إنسانياً بعيداً عن البشريّة الجسديّة...

إنّ الانصراف إلى الجنس يجنّح بالإنسان إلى الانحلال الخلقى، ويفقده معناه الحقيقي، كما يفقده السيطرة على ذاته وعلى كلّ مشاعره، ويشلّ عزمه ونشاطه، فيقلّ إنتاجه المادي والمعنوي، ويصبح آلة متحرّكة مع الأهواء تتنفس ولا تترك أثراً حسناً في المجتمع... أمّا إذا جعل الإنسان الجنس للخلق وللتعبير عن الذات مع احتفاظه بشخصه المعنوي فيرتفع ويصبح الجنس نعمة إلهيّة مفاضة على الإنسان، ليشترك مع الله في إكمال الخلق بالزواج المقدّس، وإلا كان هناك خضوع أعمى لأوامر الجسد التافهة...

المرأة - الأنثى عموماً - تصبح، بتسليمها جسدها إلى الجنس، قبل الزواج، سلعة لا

⁵²¹ طوبيا 22/6.

⁵²² 1 كورنثس 5/7.

⁵²³ تكوين 1/27 و1/9.

بل فريسة للشهوة، فتفقد معها الأنوثة الحقيقية المحببة والقائمة على اللطف والنعومة والإنسانية ورهافة الحس، وبالتالي تسمي بعيدة عن المجتمع الحقيقي الذي يرى في المرأة الإنسان المكمل للرجل، الذي يتحد به فيصبح معه جسداً واحداً متحدًا بالله⁵²⁴...

لنأت إلى الواقع، كلّ مجتمع راقٍ خلفياً وأدبياً واجتماعياً، ماذا يرى في المرأة المبتذلة، التي لا تقيم وزناً للأخلاق ولمعنى الجنس بمعناه الحصري؟ ألا يرى فيها السفالة والاحتقار؟ وواقعنا يشهد...

للمرأة الحقّ أن تطلب من زوجها - لا من غيره - أن يشبع شهوتها الجنسيّة، إذ هي ليست آلة للتناسل فقط، كذلك للرجل الحقّ في إشباع شهوته مع زوجته - لا من غيرها - فيصلاّن معاً إلى ذروة المحبّة والوفاق... ويربّي أولادهما على هذه المحبّة والأخلاقيّة وإلا فالتباغض والتشرّد وتدمير الحياة العائليّة التي أنشأها الله...

لا يغربنّ عن بالنا أنّ التماذي المفرط في العلاقات الجنسيّة المحرّمة قد جلب على البشريّة أمراضاً كثيرة يؤكّدها لنا الواقع الحياتي، وبالعكس نرى المحافظين على حياتهم الجنسيّة، بقدر الإمكان، أو محافظة تامّة، ومع شريك واحد هو الزوج أو الزوجة، نراهم محتفظين بصحّة جيّدة وحياة سعيدة، وأولادهم سليمو البنية والخلقة...

لا يجب تحويل الحبّ إلى شهوة تفقد الإنسان حيويّته، فإنّ هذا التحوّل يفقد الحبّ معناه الحقيقي، لأنّ الذي يطلب الشهوة فقط يرفض الأمانة لرفيق حياته، زوجاً كان أم زوجة، فالرجل يرى، عندها، في المرأة فريسة يريد إلتهاهما، ومن هنا برز التناقض بين الرجل والمرأة وتفكّكت عائلات وخربت بيوت كانت بالأمس عامرة تضجّ فيها الحياة...

نظرة إلى الدول المدعوّة راقية، وخاصة إلى الولايات المتحدة، فنتعلّم منها كيف نستطيع أن نرضي الله، نصف ما ترضي هي الشيطان. كم هي العائلات الباقية على اتّفاقها فيها؟ ولعلّ الشاهد الأعظم الأفلام السينمائيّة التي ترينا المجتمع الأميركي

⁵²⁴ تكوين 14/2 ومثى 5/19.

والأوروبي المفكك نتيجة الجنس وملحقاته...

للأهل دور عظيم في تربية الأولاد تربية صحيحة، لأنّ المدرسة في هذا العصر، قد فقدت دورها التربوي الذي كان لها في ما مضى، إذ كان المعلم، الكاهن أو الراهب، يعلم ويهدّب الأخلاق ويربّي، رغم قساوة تلك التربية، فأصبحت حاضنة للأولاد ليس إلا، فما على الأهل سوى تهذيب أولادهم وتدريبهم على سنن الفضيلة والأخلاق...

إنّ الكنيسة التي هي أم ومعلمة رأت في تطويب الطفلة ماريا غورتي وتقديمها للعالم نموذجاً للحفاظ على العفاف لكلّ الفتيان والفتيات. وعليه فإنّ المسيح قد رفع المرأة إلى مساواة الرجل لأنّهما من أصل إلهي، أي من عمل الله، وعليه لا يجوز أن يمارس الإنسان الجنس قبل الزواج إطلاقاً، إذ قد بعثر الحبّ بين شاب وفتاة فينهدم المستقبل وتضحى البنت في المجتمع المحافظ تائهة ضائعة، فتهدم عائلتها، في ما لو تزوّجت غير الذي كانت تعاشره.

الجنس في الزواج ترتيب إلهي، وخارج الزواج ترتيب بشري شهواني...

التوبة

مقدمة

سقط الإنسان عن العرش الذي أجلسه عليه الله، فأصبح عرضة لكل شرٍّ وأذى، وخاصةً لوساوس الشيطان، لكنّ "الله لم يشأ أن يهلك أحد بل أن يبلغ جميع الناس إلى التوبة"⁵²⁵، راح يهيء للإنسان كلّ أسباب الرجوع إليه تعالى، واستعادة الشركة مع الله... لكنّ الإنسان بما أنّ "تفكرات قلبه شريرة منذ حدثته"⁵²⁶ راح يعمه في طريق الضلال والابتعاد عن الله، إذ قد حبل به بالآثام وبالخطيئة ولدته أمّه⁵²⁷، وأخذ الشيطان يقوده في طرقه، ويبعده أكثر فأكثر عن طريق الله، لهذا قال بولس الرسول: "إنّ خطيئة الإنسان الأوّل سرت إلى سائر أعضاء الجنس البشري"⁵²⁸، ولكنّ المعمودية تمحو هذه الخطيئة إذ بهذه المعمودية بالمسيح نلبس المسيح⁵²⁹، وكذلك بالفداء الذي حقّقه يسوع المسيح. فالمعمودية والإيمان متلازمان شديداً، إذ إنّنا اعتمدنا في يسوع المسيح في موته لنحيا معه بالمعمودية حياة جديدة⁵³⁰...

1. التوبة، أو الرجوع إلى الله

راح الله، منذ سقوط الإنسان، يرسل الأنبياء لينذروا الناس ويقيموا طقوساً وأعمالاً تليق بالتوبة وتثمر ثماراً طيبة تدلّ على التوبة⁵³¹، والربّ يسوع قد أخبرنا بأنّه يرسل لنا أنبياء وحكماء⁵³²، وينذرون ويعلمون الناس ليعودوا عن شرورهم ويتوبوا...

⁵²⁵ 2 بطرس 9/3.

⁵²⁶ تكوين 21/8 و 5/6 ومزمور 13 أو 2/14-3.

⁵²⁷ مزمور 50 أو 7/521 أيوب 4/14.

⁵²⁸ روما 12/5-21.

⁵²⁹ غلاطية 27/3.

⁵³⁰ راجع روما 4-3/6 وقولوسي 12/2.

⁵³¹ متى 8/3.

⁵³² متى 34/23.

إنّ مجرد التفكير بالخطيئة يجر معه التفكير بالنتائج التي تنتج عنها، حتّى أنّهم كانوا في العهد القديم، وحتّى في أيام المسيح على الأرض، وينسبون كلّ مرض وكلّ شدة إلى الخطيئة.

حتّى إنّ تلاميذ الربّ سألوه عن سبب ولادة الأعمى: "يا ربّ، من أخطأ هذا أم أبواه حتّى ولد أعمى؟"⁵³³، والمسيح نفسه قد أرجع مرض كسيح بيت حسدا إلى الخطيئة، إذ قال له: "ها قد شفيت فلا تعد إلى الخطيئة لئلا تصاب بأسوأ"⁵³⁴، فالمسيح يشفي الإنسان نفساً وجسداً، ويريد منّا الرجوع إلى الله بالتوبة، وقد أعطانا في ذلك، مثل التينينة التي لم تثمر منذ ثلاث سنوات⁵³⁵، فلم يقطعها لعلّها تثمر... وهي مثل عثا، وهم الذين أنذرهم وبشّرهم ثلاث سنوات ولم يثمروا، لذلك قال لهم: "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً"⁵³⁶، ومع ذلك لم يرجع الإنسان، بالرغم من أنّ الله أرسل إلى كرمه ليأخذ ثمراً فلم ينل المرسلون إلا الضرب والقتل⁵³⁷، ولكن تمادى الإنسان في عمل الشرّ ولم يسمع لأقوال الأنبياء وجلب على نفسه النكبات والضربات⁵³⁸. فعمل الخطيئة بقطع الرباط بين الإنسان والله، وقد يعمّ هذا القطع الجنس البشري كلّهُ "فالجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله"⁵³⁹، وقد ذكر هذا القطع بولس أيضاً عند ذكره المتسرى بزوجة أبيه⁵⁴⁰، وكذلك عند ذكره اتصال أعضاء الجسد ببعضها⁵⁴¹، ويبقى هذا الرباط مقطوعاً بين الله والإنسان حتّى يحصل الرباط ثانية،

⁵³³ يوحنا 2/9.

⁵³⁴ يوحنا 14/5 وراجع لوقا 2/13.

⁵³⁵ راجع لوقا 9-6/13.

⁵³⁶ متى 38/23 وراجع إرميا 14/7 و7/12 الخ.

⁵³⁷ راجع متى 40-33/21 و6-3/22 وأشعيا 7-1/5 الخ.

⁵³⁸ راجع يشوع 7/كله و1 صموئيل 9-6/5.

⁵³⁹ روما 23/3.

⁵⁴⁰ 1 كورنثس 1/5 الخ.

⁵⁴¹ روما 5-4/12 و1 كورنثس 30-12/12.

أمّا عودة المذنب عن الخطيئة أو افتدائه بما يمحو آثار الخطيئة، كما افتدى الله يونانان من الخطيئة⁵⁴²، وكلّ ما ذكر عن الفداء هو رمز إلى الفداء الأعظم والشامل البشرية كلّها فداء يسوع المسيح بدمه على الصليب...

راح الأنبياء وكثيرون من الناس يقومون بأعمال نسكيّة التماساً لعفو الله ومسامحته وغفرانه، حتّى إنّ الوثنيين كانوا يقدّمون لإلهتهم ذبائح بشرية أو حيوانية استرضاء لها. وقد يلجأ الناس إلى شفاعاة رئيس أو نبي، كما فعل موسى في دعائه لله⁵⁴³، وبولس الرسول تمّنى أن يكون محروماً وملعوناً في سبيل رجوع بني قومه عن الشرّ إلى المسيح⁵⁴⁴. وكانت التنهات والابتهالات ترفع إلى الله⁵⁴⁵ وأناشيد ومبرّات وتضرعات⁵⁴⁶، وإرميا اشترك في إقامة طقوس التوبة⁵⁴⁷...

2. الأنبياء يدعون الناس إلى التوبة

ما أن أخذ الله يرسل الأنبياء، حتّى راح كلّ نبي يدعو الشعب إلى التوبة، فموسى كان يحرض الشعب على التوبة "قد خطنتم خطيئة عظيمة، والآن أصعد إلى الربّ العليّ أكفر عن خطيئكم"⁵⁴⁸.

ناتان النبي نراه يدعو داود إلى التوبة والاعتراف بخطيئته، وداود يذعن لإنذار النبي

⁵⁴² 1 صموئيل أو 1 ملوك 45-36/14 وراجع افتداء المذنب بذبيحة إلى الربّ خروج 15-13/13 و20-19/34 وعدد

16-15/18 وأخبار 27/27 وخاصة أخبار 7-5/5 وعدد 7-5/5 الخ.

⁵⁴³ خروج 32/30-33.

⁵⁴⁴ راجع روما 3/9 .

⁵⁴⁵ راجع قضاة 4/2 و9-7/3 ويوثيل 13/1 و7/2 الخ.

⁵⁴⁶ راجع المزامير كلّها مثلاً مزمور 159 و60/كله ومزمور 173 أو 174/كله ومز 78 أو 79/كله ومز 82 أو 83/كله

ومراثي إرميا 5/كله الخ...

⁵⁴⁷ راجع إرميا من فصل 14 إلى فصل 19-1/15 الخ.

⁵⁴⁸ خروج 30/32...

ويقيم توبة أصبحت مضرب المثل: "التوبة الداوذية"⁵⁴⁹. هوشع يطالب بالابتعاد عن الشرّ ويأمر بالتوبة لكي يرضى الله عن الشعب، ولا يرضى هوشع بالتوبة السطحية التي لا ثمر لها، بل يطلب التوبة الباطنية "عد يا إسرائيل إلى الربّ إلهك"⁵⁵⁰، هلمّوا نرجع إلى الربّ... "أريد رحمة لا ذبيحة"⁵⁵¹. وعاموص يدعو إلى العدالة والبحث عن الخير بدل الشرّ⁵⁵². ومن يقرأ سفر أشعيا يجد التنبيهات والمواعظ "اغتسلوا تطهروا... كفوا عن الإساءة تعلموا الاحسان، التمسوا الإنصاف، أغيثوا المظلوم، أنصفوا اليتيم، حاموا عن الأرملة... فلو كانت خطاياكم كالقرمز تصير كالصوف"⁵⁵³... وكذا إرميا وحزقيال...

يونان النبي وعظ أهل نينوى وهدّدهم بغضب الله... فتابوا توبة صادقة بالصوم ولبسوا المسوح وذرّوا الرماد على رؤوسهم (منها اثنين الرماد عند السريان والموارنة) فكفّ عنهم الغضب⁵⁵⁴، والمسيح الإله - الإنسان يدعو اليهود والفريسيين إلى التوبة ويذكرهم بتوبة أهل نينوى، في تعنيفه مدن البحيرة⁵⁵⁵...

وما التوبة إلا تطهير القلب والنية من كلّ الأدران والاعتراف بالخطيئة علناً أمام الله، وإنّ الإنسان بحاجة إلى رحمة الله "في غضبك لا توبخني وفي سخطك لا تؤدبني، ارحمني يا ربّ..."⁵⁵⁶، وللتعبير المطلق على مشاعر التوبة فالمزمور 50 أو 51 كله، فإنّه صلاة ومحادثة مع الله، صوت خاطئ أثيم يخرج من أعماق القلب، إذ يرى هذا

⁵⁴⁹ راجع 2 صموئيل أو ملوك 13/12-23.

⁵⁵⁰ هوشع 9-2/14.

⁵⁵¹ هوشع 6-1/6 ومثى 13/9 الخ.

⁵⁵² راجع عاموص 15-4/5.

⁵⁵³ أشعيا 18-16/1 والخ.

⁵⁵⁴ يونان 10-1/3.

⁵⁵⁵ مثى 24-20/11.

⁵⁵⁶ مزمور 3-2/6...

الخطيئ الأثيم عظيم جريمته فيصرخ: "نجّني من الدماء يا الله إله خلاصي..."⁵⁵⁷ وفي سائر المزامير نرى صلاة الاستغفار والتوبة والاعتراف بالخطيئة...

3. التوبة في العهد الجديد

ما إن طلّت نجمة صبح العهد الجديد مع يوحنا حتّى راح يصرخ بأعلى صوته، كالأسد الزائر، الصوت الصارخ في البرية⁵⁵⁸، قائلاً: "توبوا فقد اقترب ملكوت الله..."⁵⁵⁹، وكان صراخه تهيئة ليزوغ شمس العهد الجديد يسوع المسيح الإله الإنسان... يوحنا هو نبي المخضرم، الذي نقل، كالجسر فوق ضفتي نهر متدفق، العهد القديم إلى العهد الجديد، عهد النعمة وعهد الذبيحة الدائمة لغفران الخطايا. راح يوحنا يعلم ويوعز إلى الجميع أن يعترفوا بأنهم خطاة ويتوبوا "ليثمروا ثمراً يليق بالتوبة"⁵⁶⁰، ويسيروا في طريق الفضيلة والتوبة، الطريق الموافق للحياة الجديدة⁵⁶¹، والطريق الأوّلي هو المعمودية الماء للتوبة لإعداد الناس لمعمودية النار والروح القدس، المعمودية التي يمنحها الربّ يسوع⁵⁶².

ما إن ظهر الربّ يسوع واختار تلاميذه من الشعب البسيط الساذج⁵⁶³، حتّى أرسلهم ليكرزوا بالتوبة ويطردوا الشياطين ويمسحوا بالزيت المرضى⁵⁶⁴، ومسح الزيت علامة القبول في ملكوت الله، وشفاء أمراض النفس والجسد⁵⁶⁵. وبعد صعود الربّ إلى السماء،

⁵⁵⁷ مزمو 50 أو 16/51 .

⁵⁵⁸ ملاخي 1/3 أشعيا 3/40 مرقس 3-2/1 لوقا 3-3/17 .

⁵⁵⁹ متى 2-1/3 مرقس 8-1/1 لوقا 8-1/3 .

⁵⁶⁰ متى 8/3 .

⁵⁶¹ راجع لوقا 9-3/14 .

⁵⁶² راجع متى 11/3 .

⁵⁶³ متى 5-1/10 و 25/11 و 1 قورنثس 26-29/1 .

⁵⁶⁴ مرقس 12-6/13 .

⁵⁶⁵ راجع يعقوب 12-5/16 .

راح الرسل يعلنون باسم المسيح، الذي علّمنا السير في الطريق الضيق لنصل منه إلى الفردوس الرحب⁵⁶⁶، يعلنون التوبة وغفران الخطايا⁵⁶⁷، وقد منحهم السيّد المسيح موهبة غفران الخطايا: "من غفرتم خطاياهم غفرت له ومن أمسكتم عليه خطاياهم أمسكتم عليه"⁵⁶⁸.

وقد أعطانا الربّ يسوع أمثلة على التوبة وغفران الخطايا: الابن الشاطر⁵⁶⁹، ومنه تعلّمنا شروط الاعتراف وحقيقة التوبة والرجوع إلى الله. ثمّ النازفة التي شدّد المخلص على معرفة من لمسه، لكي تعترف المرأة بما فعلت وتتوب⁵⁷⁰. والمقعد بإيمان حامله، لأنّ الإيمان يكمل بالأعمال⁵⁷¹.

فالتوبة، بالاختصار، هي الرجوع عن كلّ خطيئة، إن بالفكر أو بالقول أو بالفعل أو بالإهمال، والإقلاع عنها نهائياً، وإظهار علامات الندامة والتوبة. ونوال الحلّة من يدّ الكاهن، نعد الله بأن نتوب ولا نعود إلى الخطيئة، لأنّ الخطيئة تهين الله وتجرح المحبة. علينا أن نكون الملح الذي يملح كلّ طعام⁵⁷² والسكر... يحلي كلّ حلوى، والنور الذي ينير ظلمة العقل والقلب والحواس⁵⁷³، فإن كُنّا خلاف ذلك فيجدف الناس على اسم الله بسببنا⁵⁷⁴.

الختام

⁵⁶⁶ متى 13/7-14 لوقا 24/13.

⁵⁶⁷ لوقا 47/24.

⁵⁶⁸ يوحنا 23/20 متى 16/16-18 و 18/18 وراجع روما 10/5 وراجع 2 قورنثس 18/5 الخ...

⁵⁶⁹ لوقا 11/15-32.

⁵⁷⁰ راجع متى 9/20-22 مرقس 5/21-43، لوقا 5/33-39.

⁵⁷¹ متى 9/1-7 مرقس 2/12 ولوقا 5/17-26 ويعقوب 2/14-26.

⁵⁷² متى 5/13 ومرقس 9/50 ولوقا 14/34-35.

⁵⁷³ راجع متى 5/14-16.

⁵⁷⁴ راجع روما 23/24-23/20 رؤيا 9/16 و 11، تيطس 2/5 و 1 بطرس 4/14 و 2 بطرس 2/2 الخ.

علينا أن نعود إلى الله بتوبة حقيقية نصوح فنربح غيرنا ونربح معه ملكوت الله
ونسبحه إلى الأبد...

صورة ربنا وإلهنا ومخلصنا

يسوع المسيح غير مصنوعة بيد

جاء في إنجيل القديس يوحنا: "أنّ يونانيين جاؤوا إلى العيد وطلبوا إلى فيليبس رؤية يسوع"⁵⁷⁵.

إنّ هؤلاء الناس قد أرسلهم الأبرج الخامس (توفي سنة 50 للمسيح) ملك الرها (اسمها (اليوم أورفا). وكانوا سرياناً يتكلمون السريانية واليونانية)، بقيادة أحد وزرائه المدعو حنائياس، لأنّ الملك كان قد أصيب بالبرص، وقد سمع بأخبار الربّ يسوع، حسب ما قال القديس يوحنا الدمشقي (675 - 749)، في دفاعه عن الإيقونات في المجمع النيقاوي الثاني سنة 787، وحسب ما ذكر المعلم بارونيويس الكردينال في تاريخه (1538 - 1607). إذ قد اشتهرت عجائب الربّ يسوع في كافة البلاد، فأرسل الأبرج إلى أورشليم وفدّاً من قبله مصحوباً برسالة باللغة السريانية هذا نصها:

رسالة الأبرج: "لقد بلغتني الآيات العظيمة التي تصنعها بغير دواء وعقاقير، حيث تفتح عيون العميان وتقيم المقعدين وتطهر البرص وتخرج الأرواح الشريرة وتشفى المرضى المزمنين وتحيي الأموات. فلما تحققتُ أنا هذه العظام، قلت: إمّا إنك لله نزلت من السماء، أو أنت ابن الله، لافتعالك هذه العجائب الفائقة العقول. ولهذا استدعيتك بهذه الرسالة لتأتي إليّ وتشفى ما بي من المرض. وقد سمعت أنّ اليهود يضادونك ويريدون قتلك. فلي مدينة صغيرة تكفي لي ولك" (كان يتبع الرها آنذاك ثلاث مدن). (الأبرج قدّم مدينته للمسيح ونحن ماذا نقدّم له؟)

جواب الرب: "طوبى لك يا أبرج، لأنك آمنت بي قبل أن تراني، لأنه كتب: إنّ الذين رأوني لم يؤمنوا بي، لكي الذين لم يروني يؤمنوا ويحيوا حياة أبدية. ومضمون رسالتك يقتضي أن آتي إليك. لكن ينبغي لي أن أتمم الأمور التي أرسلت من أجلها، ثم

⁵⁷⁵ يوحنا 12/20-24.

أعود إلى الذي أرسلني، وسوف أرسل لك أحد تلاميذي بعد صعودي ليشفي أمراضك
ويمنح الحياة لك ولغيرك. وأمّا مدينتك فلتكن مباركة والعدو لا يقوى عليها".

مع هذه الرسالة أرسل له صورة وجهه غير مصنوعة بيد، على المنديل الذي حمل
فيه حناييس الرسالة.

ما إن وصلت الصورة هذه ولامتت جسد الأبرج شفي من كلّ أمراضه؛ وصارت
تلك الصورة تقيض العجائب، وخاصّة إبان الاضطهادات على الكنيسة. ولمّا استتبت
الأحوال، وأضحت المملكة مسيحيّة؛ عرف بأمر الصورة هذه ملوك بيزنطية، ومنهم
الملك رومانوس الأوّل، الذي ملك من سنة 920 إلى 944، فراح يطلب الصورة من ملك
الرها، الذي أعطاه إياها بعد أن تعهّد الملك رومانوس وخلفائه باحترام الرها وعدم إلحاق
الأذى بها، وقد كتب الملك رومانوس تعهدًا على نفسه وعلى خلفائه من بعده في كتاب
مكتوب بماء الذهب...

حمل الملك تلك الصورة باحتفال إلى القسطنطينيّة سنة 942، حيث بقيت هناك مدّة
طويلة. ولمّا سقطت القسطنطينية بيد الأتراك سنة 1456 حملت هذه الصورة مع غيرها
من الكنوز الشرقيّة إلى مدينة روما العظمى، حيث لا تزال هذه الصورة معروضة لإكرام
المؤمنين، إلى اليوم، في كنيسة القديس سلفستروس...

أمّا بعد صعود الربّ إلى السماء، وانتشار الرسل يحملون إلى العالم البشارة
المفرحة، وصل يهوذا الرسول⁵⁷⁶ إلى الرها وذلك سنة 43 م وبشّر فيها وكان له دالة
على الأبرج، بعد أن عمّده وعمّد معه أهل مدينته. عسى أن نكون كلنا رسلاً للمسيح نحمل
صورته في قلوبنا وفي حياتنا وفي تصرّفاتنا...

⁵⁷⁶ متى 3/10.

ملاحظة: للرسول يهوذا ثلاثة أسماء وهي: يهوذا - تادي أو تداوس، ولابي وهو أخو يعقوب الصغير أسقف أورشليم. عيدته في 19 حزيران في كنائسنا الشرقية أمّا عند اللاتين ففي 28 تشرين الأوّل⁵⁷⁷.

وهذا نصّ القصة كما يرويها نقلاً عن اللغة اليونانية البطريرك مكاريوس ابن الزعيم الحلبي (1648-1672) في كتابه **مجموع اللطيف** الموجود مخطوطاً في دير المخلص صرباً للرهبان الباسيلييين الحلبيين.

خبر المنديل المقدّس غير المصنوع بيد

"لما أرسل الأبجر ملك الرها رسالته مع حنانيا إلى السيد المسيح ورسالة السيد له مع المنديل المقدّس، وماذا صار من المنديل في مدينة منبج، وماذا صنع في الرها من العجائب، وكيف أرسل ملوك الروم وأخذوه إلى القسطنطينية مع القرميدة المقدّسة والرسالتين.

في ذلك الزمان لما كان ربّنا يسوع المسيح متردّداً على الأرض كإنسان كامل، ويعلم الناس ويشفي كلّ سقم وكلّ استرخاء، ويري سائر الأمراض والعاهات والأوجاع، ويتبادر إليه الناس من كلّ صقع كما يخبر الإنجيل الطاهر. وكان واحد ملكاً من الرها يقال له أبجر، وكان البرص قد شمل سائر جسده، وكان يشتهي أن يمضي

⁵⁷⁷ المرجع

1. التاريخ العام.

2. سنكسار الكنيسة السريانية المارونية بأحرف الكرشوني، وطبعة بالحرف العربي (18 آب).

3. سنكسار الكنيسة البيزنطية للمطران ميخائيل عسّاف مطران شرق الأردن (16 آب).

وينظر بعينيه سيّدنا يسوع المسيح ليشفيه، فلم يكن يقدر على ذلك لشدة ضعفه ومرضه لأنّ البرص الأسود كان قد استحوذ على كلّ بدنه. وكان قد انفق مالاّ جزيلاً على الأطباء ليشفوه، فلم يقدرُوا على ذلك. وكان يترجى الشفاء. فلما مكث في هذا البرص سنيّاً كثيرة وكان وجعه كلّ يوم يزداد ولم يكن يقدر يخرج من منزله لئلاّ ينظروه الناس في هذا الألم الردي. ولما قارب هذا المرض أن يميته، أرسل إليه رجلاً مصوراً حاذقاً اسمه حنايا ومعه رسالة تتضمّن التوسّل والتضرّع إلى السيّد المسيح بأن يأتي إليه ويشفيه.

وهذه هي الرسالة هذه نسخة رسالة أبحر ملك الرها إلى سيّدنا يسوع المسيح. من أبحر ملك الرها الأسود إلى يسوع المسيح الطبيب الصالح الظاهر في أرض أورشليم. سيّدي سلام عليك سمعت عنك وعن الأشفية التي تصنع، إنّك تبرى بغير أدوية ولا عقاقير بل بالقول فقط تبصر العميان وتشفي الزمءاء وتسمع الطرش وتفتح أفواه الخرس تطهّر البرص وتخرج الشياطين والأرواح النجسة بكلمتك وتقيم الموتى. ولما سمعت عنك يا سيّدي ذلك، تعجبت من المعجزات الباهرة التي تصنع. فقررت في نفسي وحملت أمرك على إحدى الحالتين: أمّا أنّك تكون الله الذي ينزل من السماوات فيفعل هذه، أو ابن الله. ولذلك أكتبك لتأتي إليّ لأسجد لقدسك، ولكي تشفي لي مرضاً كما آمنت. وبلغني أيضاً بأنّ اليهود يتبرمون بك ويضطهدونك ويطلبون هلاكك و الهزء بك، ولي مدينة واحدة صغيرة حسنة جداً وهي تكفيننا لنسكنها معاً بهدوء وسلامة فأمر أمرك يا سيّدي والسلام عليك.

وأعطى هذه الرسالة لحنايا المذكور، وأمره بأن يصوّر له أيقونة المسيح. ولباسه وشعره ووجهه وما شاكل ذلك، ويأتيه بها إلى الرها مع جواب رسالته. فلما مضى هذا حنايا إلى أورشليم وأعطى للسيّد المسيح الرسالة، وجلس أمام وجهه متأملاً صورته ليصوّره، وإنّ السيّد المسيح العارف ما في القلوب وما تكنه الصدور أحال منظر وجهه، ولبث المصوّر يصوّر صورته ثلاث مرّات أو أربعة، فلم

يقدر على ذلك مع أنه كان حاذقاً ماهراً. وبعده التمس السيّد ماء وغسل به وجهه الكريم وأخذ حنائيا تلك السبئية التي كانت معه وهو منديل ونشف بها وجهه المقدّس، فيا له من عجب للوقت ارتسم فيه منظر وجهه في ذلك المنديل بأصباغ ألوان ثابتة. وأعطاه لحنانيا وقال له: امض واعط هذه لمرسلك واعطه مني هذه الرسالة. وكتب فيها هكذا:

هذه نسخة رسالة السيّد المسيح إلى أبجر ملك الرها.

امض فقل لصاحبك الذي أنفذك: طوباك يا أبجر إذ آمنت ولم ترني، لأنّه مكتوب من جهتي إنّ الذين يروني لا يؤمنون بي والذين لم يروني سوف يؤمنون بي. وكتبت إلى أن أصير إليك والأمر الذي بسببه أرسلت من لدن الآب هاهنا من الآن قد حضر، وأصعد إلى الآب الذي أرسلني، فإذا صعدت أنفذت إليك واحداً من تلاميذي واسمه تداوس، والمرض الذي بك هو يشفيه ولساير من يلوذ بك يرد إلى الحياة الأبدية، وبلدك فليكن مباركاً أبداً، والعدو أيضاً فلا يتسلط عليك ولا عليه إلى الدهر والسلام عليك.

ثم ختم الرسالة وكتب عليها باللغة العبرانية الله إله لاهوت عجيب. ثم أعطى هذه الرسالة لحنانيا. فرجع وهو مسرور جداً. فلما وصل إلى مدينة منبج، سمعوا أهلها بالخبر، فأرادوا أن يخطفوها منه، وإنه خاف جداً وفتح ذلك المنديل المقدّس وأخفاه تحت قرميدة كانت هناك. فلما قبضوا أهل منبج على حنائيا المذكور وألزموه بأن يدفع إليه المنديل المقدّس وهولوا عليه بالقتل، فحينئذ مضى ليريهام إياه بغير مراده، فلما أتى إلى عند القرميدة ورفعها بيديه ليخرج من تحتها المنديل المقدّس، فيا له من عجب معجز لأنهم ابصروا جميعهم تلك الصورة المقدّسة التي في المنديل المقدّس قد انتقشت وتصوّرت أيضاً في تلك القرميدة بأصباغ ألوان ثابتة واضحة نظير تلك الصورة التي في المنديل المقدّس. فحار أولئك القوم ودهشوا لما رأوا هذه العجيبة المعجزة. ثم إنهم أخذوا القرميدة أهل منبج ووضعوها في مدينتهم، وأعطوا لحنانيا المنديل المقدّس غير المصنوع بيد، فأخذه ومضى مسرعاً فازداد ثقة وأمانة. وأرسل أناساً قدّامه ليعلم الملك الأبجر بقدومه.

وأنّ الملك لما سمع بقدم حنانيا فرح كثيراً، وقام لاستقبال صورة السيّد المسيح. وللحين مع سجوده وتقبيله لها برأ من مرضه ما خلا برصاً قليلاً بقي في وجهه.

ثم إنّ حنانيا دفع أيضاً للملك رسالة سيّدنا يسوع المسيح ورسالته التي كان أرسلها للسيّد المسيح. فلما قرأ رسالة سيّدنا المسيح إليه ازداد فرحه بذلك كثيراً. وإنّ الملك وضع الرسالتين في خزانة بلاطه محفوظين بكلّ وقار وإكرام.

وبعد آلام المسيح المخلّصة، وصعوده إلى السماوات مضى الرسول تداوس إلى الرها وعمد أبجر ملك الرها مع ساير بلاده. وبعد أن اعتمد أبجر الملك وخرج من البركة تنقاً من ساير برصه ومن ذلك الحين كان يكرّم ويسجد لمنديل صورة المسيح المقدّس. ومع هذا عمل عملاً عجيباً جداً وذلك أنّه كان خارج المدينة صنم كبير كان وضعه أحد اليونانيين وكلّ من كان يريد الدخول إلى المدينة كان يصلي أولاً أمام ذلك الصنم، فأوقف موضعه المنديل المقدّس ليسجدوا له الكلّ، وكتب أيضاً كتابة يقول هكذا: أيّها المسيح الإله كلّ من يتكل عليك ما يخيب قط. ووضعها هناك وأمر بعد ذلك أن كلّ واحد يريد الدخول إلى المدينة يسجد أولاً لتلك الأيقونة ثم يدخل. وحفظ هذا الأمر في كلّ حياته وكذلك ابنه أيضاً من بعده حفظ هذا الرسم.

وبعد أن تملك ابن ابنه أراد أن ينزل منديل السيّد المسيح وينصب ذلك الصنم مكانه الذي كان أولاً للحنفا. وإنّ رئيس كهنة البلد لما علم بمراد الملك وضع في رأيه فكراً جيّداً وذلك أنّه كان فوق باب المدينة قنطرة، فوضع تحتها أيقونة المسيح وعلق أمامها قنديلاً مشعولاً وبنا الموضع بعد ذلك بالأجرّ والكلس حتّى ما يستبين المنديل المقدّس. ولما لم يعد يظهر فرح الملك وصمت عنه وأقام في ذلك المكان مخفي بأمر الله أكثر من خمسمائة سنة.

ثم ظهر على هذه الصفة: وذلك أنّه في أيام هرقل الملك استحوذ كسرى زعيم الفرس على بلاد المشرق، ومضى إلى الرها حيث كان منديل المسيح المقدّس لكي

يخرب المدينة وينهب أموالها ويستأثر أهلها كما فعل في بلاد المشرق. وأهل الرها لما رأوا الملك والعساكر خافوا جداً وطلبوا المعونة من الله، وكان في ذلك الزمان رئيس كهنة البلد اسمه افلايوس، وكان رجلاً باراً وفي تلك الليلة ظهرت له امرأة بهيئة وقالت له: اذهب إلى باب المدينة واحفر في الناحية الواحدة فوق الباب ستجد هناك أيقونة المسيح المخلص، خذها فإِنَّكَ ستعاين قوّة المسيح. وبالغداة لما استيقظ رئيس الكهنة، مضى إلى المكان التي أعلنته له السيّدة في نومه، فحفر قليلاً من صور المدينة، فيا له من عجب معجز فإِنَّه وجد ذلك القنديل مشعولاً بعد سنين هذا مقدارها، وأيقونة المسيح سالمة مزهرة وغير ذابطة، وليس هذا فقط لكن والقرميدة التي كانت أمام وجه المنديل وجدت مصورة أيضاً ومرتسم فيها وجه المسيح كمثل ذلك المنديل المقدّس. فأخذ عند ذلك رئيس الكهنة بيديه المقدّستين المنديل الطاهر وطاف به دائر المدينة بطلبة وتضرّع.

وفي أحد الأيام أشعل الفرس ناراً ليحرقوا أسوار المدينة، فطاف الأسقف مرّة ثانية حول المدينة بالمنديل المقدّس، فأحال السيّد المسيح بقدرته تلك النار إلى الناحية البرانيّة فأحرق أكثر عساكر الفرس. والذين تبقوا لما عاينوا هذا العجب هربوا إلى ورائهم، ولم يتجاسروا أصلاً أن يدنوا من هناك. وهكذا بقي ذلك المنديل المقدّس محفوظاً في مدينة الرها عاملاً للعجائب الباهرة.

ولما مات هرقل الملك، سمح الله لأجل خطايانا فملك المسلمون مدينة الرها، وملكوا معها هذا المنديل المقدّس وكان مكرماً عندهم كثيراً، محفوظ عليه جداً جيلاً بعد جيل. فلما تمادى الزمان إلى أيام رومانوس ملك الروم الذي تمكّك بعد هرقل الملك بثلاثمائة سنة. ولما نقلت جميع محاسن الدنيا من كلّ صقع إلى المدينة المتملّكة، شاء إلها أيضاً بأن ينقل إليها هذا المنديل المقدّس. فحينئذ أرسل الملك من القسطنطينيّة قواماً من خاصّته إلى أمير المسلمين الذي من الرها يطلب أن يعمل معهم محبة وسلامة، ويدفع إليهم اثني عشر ألف درهم من الفضة ومائتين يسير من المسلمين

الذي عنده، ويدفعوا هم إليه المنديل المقدّس. وكانت الرها ذلك الوقت تحت يد الملك المتقي بمدينة بغداد. فأرسل المسلمون من الرها يعلموه بذلك، ويطلبوا جوابه. وإنّ المتقي أرسل لأمير الرها يأمره بأن يعرض ذلك على القضاة والفقهاء واستفتائهم في ذلك والعمل بما يقولون. فاستحضرهم الأمير وعرفهم ما ورد في هذا المعنى، وسألهم عما عندهم فيه. وجرى في ذلك خطوب ذكر فيه بعض من حضر هذا المنديل، وأتته منذ الدهر الطويل في هذا الموضع لم يلتصقه ملك من ملوك الروم فإنّ في دفعه إليهم غضاضة على الإسلام. والمسلمون أحقّ بمنديل عيسى عليه السلام، وفيه صورته. فقال أعظمهم المسمّى: علي بن عيسى أن يعرفوا خلاص المسلمين من الأسر وإخراجهم من الضيق والسجون أوجب وأحقّ. ووافقه جماعة ممّن حضر على قوله، وأشار هو وغيره من القضاة والمسلمين بتسليم المائتين يسيراً والفضّة المذكورة وتسليم المنديل إلى الروم. وعمل الأمير في ذلك محضراً وأخذ في ذلك خطوط أيدي الجماعة الذين حضروا وعرض ذلك على المتقي. وشرط أهل الرها عليهم ألا يعبروا الروم فيما بعد على بلادهم، وعقدوا بينهم هدنة مؤبّدة. وتسلم الروم المنديل وحملوه إلى القسطنطينيّة، ومضى معهم أسقف الرها وأسقف سميساط وغيرهم من الوريثين. ومضوا به بكلّ إكرام وتوقير. وعمل في الطريق عجائب كثيرة ودخلوا به إلى القسطنطينيّة في اليوم الخامس عشر من شهر آب. وخرج الملك والبطريك تاوفيلكطس أخيه وقسطنطين وأخيه وأولاد رومانوس الملك مستقبلين إياه إلى باب الذهب، ومشى أهل الدولة بأجمعهم بين يديه بالشمع الكثير، وعمل وقتئذٍ عجائب لا توصف لكلّ المتقدمين إليه بأمانة شفيوا من أمراضهم الكثيرة. وتقدّم أحد المجانين وهكذا تنبأ قائلاً: تسلمي يا مدينة القسطنطينيّة مجداً وكرامة وفرحاً، وأنت أيها الملك المولود على البرفير. ومع قوله هكذا خرج منه الشيطان وشفى. ثم ذهبوا بالمنديل المقدّس أولاً إلى هيكل والدة الإله فلاشرناس وهناك وضعه وسجدوا له بكلّ توقير.

وفي الغد مضى أيضاً الملك وسائر أهل مملكته مع البطريك وسائر الإكليروس والشعب وأخذوه وذهبوا به بالمزامير والتسابيح إلى كنيسة أجياصوفيا. وكان ذلك في سنة ستة آلاف وأربعمائة واثنين وخمسين سنة للعالم، وذلك في السنة الرابعة من تملك رومانوس الشيخ.

ثم بعد ذلك لما مضى أربعة وعشرون سنة من تاريخه أعلاه جرى بين المسلمين والروم حروب كثيرة وكان وقتئذ ملك الروم اسمه نقفور. وهذا نقفور الملك توجه نحو بلد الشام ونزل على مدينة منبج وطلب من أهل المدينة القرميدة التي عندهم فأخرجوها إليه، فأخذها منهم وأكرمهم كثيراً ووضعها أيضاً في خزانة البلاط بالقسطنطينية بكل إكرام وتوقير. وأظهر الرب الإله بها في الطريق عجائب كثيرة، وكذلك أيضاً في القسطنطينية.

ثم لما تطاول الزمان ومضت سنين كثيرة بعد تاريخه أعلاه بمدة سبعة وستين سنة أيضاً في أيام رومانوس الملك الذي من أرجيروبولي، فطلب هذا الملك المذكور من أمير الرها المسمى سليمان بن الكرجي المتولي لهذه المدينة مع جرجس المانياكس رئيس أجناد مدينة سميساط بأن يدفع إليهم الرسالتين المقدستين وهما التي كان أرسلها أبجر الملك للسيد المسيح ورسالة السيد المسيح إلى الأبجر المقدم ذكرهما من هذا الخبر. ودفع لهما الملك عن ذلك مواهب عظيمة. وإن سليمان المذكور دفع هاتين الرسالتين إلى جرجس رئيس أجناد سميساط المذكورة، فحملهما من مدينة الرها و مضى بهما إلى القسطنطينية وقدمهما إلى حضرة الملك فقبلهما الملك بأوفر التوقير والإكرام. وكانت كل رسالة منهما واحدة في ورق الطومار مكتوبين بالسرياني. وخرج الملك وألكسيوس البطريك وجميع أهل المملكة لاستقبال الكتابين وتسلمهما الملك بخشوع وخشوع تعظيماً لكتاب السيد المسيح، وأضافهما إلى الآثار المقدسة التي في بلاط الملك وعني الملك رومانوس بترجمتهما من السرياني إلى اليوناني وترجمتهما لنا

إلى العربي. الناقل الذي تولى نقلهما إلى اليوناني على هيئتهما ونصهما وهما كما كتبناهما من أول هذا الخبر اطلبهما هناك تجدهما .

وبقيت هذه الآثار المقدسة وغيرهم من الأشياء الإلهية المعظمة مع غيرهم من أعضاء القديسين في القسطنطينية.

وفيما بعد أكثر ملوك الروم أوهبوهم لديورة الجبل المقدس وملك الكرج ولرومية وللبندقية وللروس وغير ذلك وهم إلى الآن باقين موجودين يعملون العجائب كما عمل هذا المنديل المقدس في مدينة القسطنطينية معجزات باهرة كما تذكر ذلك كتب الكنيسة. وخلص مدينة القسطنطينية مع عناية والدة الإله مراراً كثيرة من البربر الذين أحاطوا بها، وكيف هلكوا هلاكاً فظيماً شنيعاً.

ونحن نسأل الرب بشفاعاتها أن يخلصنا من شر الأعداء المنظورين وغير المنظورين ويمنحنا غفران خطايانا ويعطينا ملكوته السماوي بما أنه وحده صالح ومحبة البشر".

ملكیصادق

تمهید

كثرت التّأویلات والتفاسیر حول ملكیصادق هذا، فراح البعض يجعله وثنيًا، والبعض الآخر يجعله نبيًا، وتبناه الكنعانيون اليوم (الماسون المحافظ الكنعانيّة) وجعلوه كنعانيًا سيّدًا لإبراهيم وأعظم من موسى وغالوا في ذلك غلوًا كبيرًا. بيد أن ملكیصادق هذا قد ظهر في الكتاب المقدّس كمدافع وحام لإبراهيم، وسلف لداود، وصورة رمزيّة مسبقة ليسوع. لذلك رأيت أن أعرف به بقدر ما وعته الذاكرة الضعيفة، وبقدر ما هو مدوّن في الكتب، وعلى رأسها ورأس كلّ ذلك بقدر ما وهبني الروح القدس من معرفة، وبما في الكتاب المقدّس، كتاب الله الملهم.

1. معرفة الله واسمه قبل إبراهيم وبعده

لو عدنا بالتاريخ إلى ما قبل إبراهيم، وحتىّ إلى ما قبل نوح، نجد أنّ الناس كانوا يعرفون الله معرفة حقيقيّة، وليس كما يدّعي البعض، بأنّ الناس ما عرفوا الله إلاّ إبراهيم، ومن بعده، بسلالته التي دعيت، فيما بعد، بالعبرانيين. فقد جاء في الكتاب المقدّس نفسه ما يلي: "وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أَيْضًا، فَوَلَدَتْ أَبْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ شَيْتَا (اسم شيت هو عبراني - سرياني، معناه: شاء ورضي بالعربية) قائلة: إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ (شاء) لِي نَسْلًا آخَرَ (مباركًا) عَوْضًا عَنْ هَابِيلَ. لِأَنَّ قَائِينَ قَتَلَهُ. وَلَشَيْتٌ أَيْضًا وَلَدَ ابْنِ فِدَعَا اسْمُهُ أَنْوَشُ (معناه: إنسان من نُسْأ السريانية) وَهَذَا رَاحَ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ (ترجمة التوراة الأورشليميّة) وَحِينَئِذٍ ابْتَدَأَ بِالِدَعَاءِ (أن يدعى) بِاسْمِ الرَّبِّ"⁵⁷⁸. بيد أنّنا نرى التقليد اللاهوتي والكهنوتي، واليهودي يؤخّر معرفة الله إلى بدء دعوة موسى، كما نرى قوله: "فَقَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: أَهِيهِ الَّذِي أَهِيهِ (أنا الكائن - أنا هو الذي هو)... أَهِيهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ (الكائن أرسلني إليكم). وَقَالَ اللَّهُ لِمُوسَى هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَهِيهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ

⁵⁷⁸ ترجمة العربية: تكوين 25/4-26.

(الكائن أرسلني إليكم)⁵⁷⁹. وأيضًا: "ثمّ كلمّ الله موسى وقال له: أنا الربّ، أنا الذي تجلّيت (ظهرت) لإبراهيم واسحق ويعقوب بأني الإله القدير على كلّ شيء. وأمّا باسمي (اسمي) يهوه (الكائن) فلم أعرف عندهم (أعلنه)"⁵⁸⁰، فقد عرف الكنعانيّون الله قبل أن يعرفه العبرانيّون، قد عرفه الكنعانيّون باسم إيل وإيلون (عليون - عالي جدًّا، أو المتعالي)⁵⁸¹. ثمّ نرى في سفر التكوين (الأورشليمي) قوله "تجلّى الربّ لإبرام إذ كان بعمر تسعين سنة، وقال له: أنا هو (آل شدّاي) الله القدير..."⁵⁸²، وأيضًا "ليبارك (آل شدّاي) الله القدير"⁵⁸³. وأيضًا "وظهر الله ليعقوب وقال له: ... أنا (آل شدّاي) الله القدير"⁵⁸⁴، وفيه أيضًا يذكر "وصبّ على الحجر زيتًا (عمّده ودهنه بالميرون) وسمّى الموضوع بيت إيل (بيت الله)"⁵⁸⁵. وكذلك قوله "(آل شدّاي) والله القدير يعطيكم رحمة أمام الرجل..."⁵⁸⁶. وكذلك "وقال يعقوب ليوسف: (آل شدّاي) الله القادر على كلّ شيء ظهر لي في لوز..."⁵⁸⁷، وأيضًا "من إله أبيك الذي يعينك ومن القادر على كلّ شيء (آل شدّاي) الذي يبارك..."⁵⁸⁸، ومن خلال هذه الكليّات (آل شدّاي)، المنشورة في الكتاب المقدّس انتشار حبوب الماس وغوالي الجواهر على بساط من الديباج والدمقس، نرى وجه

⁵⁷⁹ خروج 14/3-15.

⁵⁸⁰ خروج 2/6...

⁵⁸¹ تكوين 18/14 كاهن الله العلي.

⁵⁸² تكوين 1/1.

⁵⁸³ تكوين 3/28.

⁵⁸⁴ تكوين 11/25.

⁵⁸⁵ تكوين 15-14/35.

⁵⁸⁶ تكوين 14/43.

⁵⁸⁷ تكوين 3/48.

⁵⁸⁸ تكوين 25/49.

الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، كلمة الله الحيّ الذي هو الله⁵⁸⁹... ثمّ إنّ قول الله لإبراهيم: "سرّ أمامي وكن كاملاً"⁵⁹⁰. نراها في كثير من المواضيع حيث في كلّ مرّة يجدد الله العهد مع العالم، ذلك العهد الذي تمّمه بذاته حين تجسّد، في العهد الجديد بدمه، يوم قال: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي"⁵⁹¹، وقد صرّح، له المجد، بتتيممه جميع ما كتب عنه الأنبياء وهو على الصليب "ها قد تمّ كلّ شيء"⁵⁹²...

أمّا كلمة "آل شدّاي" و"شدّاي" فنراها ترصّع أكثر صفحات وآيات الكتاب المقدس، كما ترصّع حبوب الألماس خواتم وصفائح الذهب... فنسمع بلعام يقول: "... يسمع أقوال الله ويرى مناظر القدير (شدّاي) الذي يقع فتفتّح عيناه"⁵⁹³، وقوله أيضًا في الفصل ذاته "كلام السامع الله (الأقنوم الأوّل) العارف معرفة العليّ (الأقنوم الثاني) والناظر مناظر القدير (شدّاي) (الأقنوم الثالث)"⁵⁹⁴، وأشعيا قد قال: "وترجع بقية يعقوب إلى الله الجبار القدير (شدّاي)"⁵⁹⁵، وفي كلّ موضع نجد الثالوث الأقدس، واسم الآب، واسم الابن وكذلك اسم الروح القدس...

2. من هو ملكيصادق؟

إنّ ملكيصادق هذا، كان ملكًا لشاليم، وهو على ما رأى كثيرون من العلماء، كنعانيّ الجنسية والأصل وبحسب التقليد وكثير من الآباء، وبحسب ما جاء في المزامير قوله "... الله معروف في يهوذا واسمه عظيم في إسرائيل. وفي شليم مظلته ومحلّه في

⁵⁸⁹ يوحنا 1/1.

⁵⁹⁰ تكوين 1/17.

⁵⁹¹ متى 28/26 وموقص 24/14 ولوقا 20/22 و1 قورنثس 25/11.

⁵⁹² يوحنا 30/19.

⁵⁹³ عدد 4/24.

⁵⁹⁴ عدد 16/24.

⁵⁹⁵ أشعيا 21/10.

صهيون"⁵⁹⁶، وقد جعلوا شليم هذه أورشليم وملكها لا يكون إلا كاهنًا. وملكیصادق هذا كان كنعانيًا باعتبار اسمه، وكان يعبد الله العالی القدير (الثالوث) باسم "إيل، إيلون" أي إله الآلهة (إذ عرفوا الله مثلث الأقانيم بجوهر واحد). وإيل إيلون هو، لدى الفينيقيين، كبير المصفّ الإلهي المتعدّد الشخصيات. أمّا الذي عبده وكرّمه ملكیصادق، وكان في الوقت نفسه ملكًا باسمه وكاهنًا لخدمته، هو الإله الوحيد الجوهر المثلث الأقانيم، هو ذاته الذي عبده إبراهيم، ورأى مجده وفرح⁵⁹⁷، وإيلون الوارد ذكره باسم إيلون أو القدير، قد جاء كثيرًا في الكتاب المقدّس، كما رأينا، وخاصّة في المزامير، إذ يدلّ هذا الاسم على الألوهة، وخاصّة على الألقوم الثاني من الثالوث الأقدس، وأحيانًا يدلّ على الآب وعلى الروح القدس حسب ما يطلبه أو يدلّ عليه المعنى كما رأينا في نبؤة بلعام⁵⁹⁸. اختار الله كهنوت ملكیصادق وفضّله على الكهنوت اللاوي، وقد جاء في ذلك "أقسم الربّ ولن يندم أن أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكیصادق"⁵⁹⁹، لقد ظهر ملكیصادق في الكتاب المقدّس فجأة فكان رمزًا للمسيح الإله الإنسان الذي أقام كهنوته ملكًا أبدیًا، وليس ككهنوت بني لاوي الذي يقتضي المويّة. وكهنوت اللاويين وينتقل من سلف إلى خلف، بينما كهنوت ملكیصادق لا يتسلسل إلى أولاده أو ينحصر في عائلة واحدة بعينها لا يتعدها، بل يعمّ جميع الناس. وذبيحة ملكیصادق ذبيحة دائمة، ذبيحة كما أرادها الربّ يسوع حين أعطى تلاميذه الخبز والخمر، جسده ودمه، عهدًا جديدًا أبدیًا⁶⁰⁰، كما قدّمه ملكیصادق الكاهن الكنعاني، وملك السلام... الذي يرمز في كلّ حياته وأعماله إلى المسيح الإله الإنسان...

⁵⁹⁶ مزمو 3-2/75.

⁵⁹⁷ يوحنا 56/8 وتكوين 17/17 و 1/18...

⁵⁹⁸ عدد 16-14/24.

⁵⁹⁹ مزمو 4/109.

⁶⁰⁰ راجع 1 قورنثس 25-24/11.

3. ملكيصادق و ابراهيم⁶⁰¹

إن ملكيصادق هذا هو ملك وأيضا كاهن الله العليّ، كما نرى في قوله "وأخرج ملكيصادق ملك شاليم خبزا وخمرا لأنه كان كاهنا لله العلي" ⁶⁰². فالملك كان عهد ذاك، في الشرق، يرمز إلى الألوهة وإلى السلطة المطلقة، وقد ذكر المزمور شليم، والتي ستدعى أورشليم "في شليم محلته وصهيون مظلتها" ⁶⁰³. وظهور ملكيصادق المفاجئ والغامض في الكتاب المقدس يدلّ على السيّد المسيح، فإن رأينا قول اليهود في المسيح نجد التفسير الحقيقي لذلك. قد قال اليهود بأنهم لا يعرفون من أين يأتي المسيح "أما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو" ⁶⁰⁴، ونطابق هذا مع قول بولس "لأن ملكيصادق هذا ملك شاليم كاهن الله العلي... ملك البر ثم أيضا ملك شاليم، أي ملك السلام. بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة، بل هو مشبه بابن الله هذا يبقى كاهنا إلى الأبد" ⁶⁰⁵. من هنا نرى أيضا أن العهد القديم قد سكت عن ذكر أبناء ملكيصادق وهذا السكوت يدلّ دلالة واضحة على قانونية كهنوت ملكيصادق وشرعيته وقدمه، حتى أنني أرى بأن كهنوت ملكيصادق قد يعود إلى عهد أنوش بن شيت الذي أخذ يدعو الناس ويجمعهم إلى الدعاء باسم الله ⁶⁰⁶، وبالطبع كان تجمّع الدّاعين باسم الربّ يحتاج إلى مرشد، وكان أنوش أوّل كاهن بالمعنى الحصري، وهكذا أرى التسلسل الكهنوتي الذي أصبح فيما بعد كهنوتا ملوكيا ⁶⁰⁷. وهذا الكهنوت وصل إلى ملكيصادق

⁶⁰¹ تكوين 18/14...

⁶⁰² تكوين 18/14.

⁶⁰³ مزمور 3/75.

⁶⁰⁴ يوحنا 27/7.

⁶⁰⁵ عبرانيين 3-1/7.

⁶⁰⁶ تكوين 26/4.

⁶⁰⁷ 1 بطرس 9/2.

الذي قدّم خبزاً وخبزاً عند ملاقاته لإبراهيم، بما أنه كاهن، وإلا لما جاز له تقديم الخبز، هذا ما أظهره الكتاب المقدس، إذ أعطى المبرر لتقديم الخبز والخمر بقوله "لأنه كان كاهناً للعلي" وزاد قائلاً: "وبارك أبرام"⁶⁰⁸. فالبركة هي من اختصاص الكهنة⁶⁰⁹. قد رأى جميع الآباء بأن هذه التقدمة هي رمز للسرّ الإلهي العظيم الذي سيصنعه السيّد المسيح، يوم ظهوره بالجسد على الأرض، إذ يعطي تلاميذه والعالم أجمع جسده ودمه تحت شكليّ الخبز والخمر، ويرسم كهنوته الأبديّ في تلك الليلة العظيمة التي فيها أبدل عهد موسى والذبائح الحيوانيّة بذبيحة ذاته على الصليب بالجسد بنوع دمويّ ليكمل ما تنبأ عنه الأنبياء، وبذلك قال بولس الرسول: "إنّما كان التغيير في الوصية السابقة لضعفها وعدم نفعها، لأنّ الناموس لم يكمل شيئاً، فدخل بدلّه رجاء أفضل منه به نتقرب إلى الله أثبتّه بالقسم"⁶¹⁰، أي أنّ الكهنوت المسيحيّ قلما يقسم على غرار الكهنوت الملكيّ صادق القديم، الذي أراه يمتدّ من أنوش ابن شيت، ممّا يدلّ على تأصل الكهنوت منذ البدء، حين لم يكن الإنسان قد عرف الله حقّ المعرفة، كما نرى في الكتاب المقدس نفسه، وفي التاريخ. وكهنوت أنوش هذا، ولو لم يصرّح به الكتاب المقدس، هو أساس وأصل لكهنوت ملكيصادق الذي حصل عليه بقسم "أقسم الربّ ولن يندم أن أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكيصادق"⁶¹¹، إذ لو لم يكن هناك كهنوت أو رسامة كهنوتيّة في الأصل وشرعيّة دائمة لما كان لهذا القسم من مبرر. وعليه نرى بولس يكمل قائلاً: "أنّ الكهنوت اللاوي هو كهنوت مؤقت وغير دائم، لأنّ أولئك صاروا أحراراً بغير قسم، أمّا هذا فبالقسم..."⁶¹². وهذا ظاهر بأنّ كهنوت هارون كان بالوصيّة، إذ قال الله لموسى: "...

⁶⁰⁸ تكوين 18/14.

⁶⁰⁹ راجع تكوين 18/14 وعبرانيين 20/6 و28-1/7.

⁶¹⁰ عبرانيين 20-18/7.

⁶¹¹ مزمو 4/109 وعبرانيين 21/7.

⁶¹² عبرانيين 21/7.

وتلبس ذلك هارون أخاك وبنيه معه وتمسحهم وتكرّس أيديهم وتقدّسهم ليكهنوا لي"⁶¹³. فنرى أنّه سيأتي يوم فيه يضع الله حدًا للكهنوت اللاوي ليقوم بدله الكهنوت الأبدي على حسب القسم. وهذا ما أفادنا به وشرحه لنا بولس الرسول في عبرانيين 7 كله، ويرينا أيضًا أنّ الكهنوت الملكيصاقي مستمدّ من الله نفسه ليكون رمزًا لكهنوت المسيح الإله. وقد حدا ببعض الآباء القول: "بأنّ ابن الله نفسه قد ظهر في ملكيصاقي"⁶¹⁴. يظهر ملكيصاقي هنا حبرًا عظيمًا للكهنة ويستوفي العشر من إبراهيم ومن سائر ذريته، كما يقول بولس: "إنّ لاوي الذي كان يأخذ العشور قد أدّى العشور بواسطة إبراهيم لأثمه كان بعد في صلب إبراهيم أبيه حين استقبله ملكيصاقي"⁶¹⁵. قد يعترض أحدهم قائلًا إنّ المسيح الذي هو من ذرية إبراهيم⁶¹⁶ قد أدّى العشور بواسطة إبراهيم إلى ملكيصاقي، إذ كان بعد في صلب إبراهيم. فالجواب: إنّ المسيح الإله لم يولد من صلب إبراهيم على الإطلاق، ولم يولد بحسب الشهوة اللحمية أو بقوة الطبيعة الجسدية، بل كانت ولادة المسيح بقوة الروح القدس ولم يأخذ من إبراهيم إلا جوهر جسمه، أي المادة اللحمية فقط فخطيئة آدم، ودفع العشور إنّما تلحق للذين يولدون ولادة طبيعية بزواج طبيعي فقط، أمّا الذي يولد ولادة بطريقة مخالفة للطبيعة البشرية، أي بدون زواج، فهذا لا تلصقه هذه كلها...

قد ذهب الآباء أكثر من ذلك، فقد قال اكليمينضوس: "إنّ المسيح اتّخذ من إبراهيم الطبيعة البشرية وحدها، بل بحسب اتحاد الطبيعة الإلهية بها". قال برنردوس بيكونيوس: "إنّ تأدية الكهنة هو لطلب صلوات وتضرّعات الكهنة لأجل خطايا الذين أدّوا هذه العشور وطلبًا لبركة الله عليهم". وهذا ما أفادنا به القديس أغسطينوس. ثمّ أنّ المسيح

⁶¹³ خروج 41/28 وأخبار 8 كله.

⁶¹⁴ راجع الحاشية على الفصل 18/14 من التكوين في التوراة الأورشليمية الفرنسية والطبعة الجديدة للعهد الجديد.

⁶¹⁵ عبرانيين 7/9-10.

⁶¹⁶ متى 1/1.

لم يكن بحاجة إلى كل ذلك، فهو الذي أتى ليغفر خطايانا ويهبنا بركته ونعمته "مغفورة خطاياك"⁶¹⁷، "إني أتيت إلى الخراف الضالة من آل إسرائيل"⁶¹⁸، "أتيت لأبشّر المساكين وأشفي منكسري القلوب..."⁶¹⁹. فتكون تأدية العشور إلى ملكيصادق طلباً لبركة المسيح بواسطة ملكيصادق، وله ولأولاده، وهذا ما جعل بعض الآباء يظنون أنّ المسيح قد ظهر في ملكيصادق، لكنّ هذا بعيد...

4. أصل كهنوت ملكيصادق

إنّ كهنوت ملكيصادق، بحسب ما رأينا، مستمد من كهنوت قديم، هو كهنوت قديم، هو كهنوت أنوش، إذ يستحيل أن يكون هناك كاهن دون مسحة الكهنوت، وعليه فكهنوت ملكيصادق أتت من سلالة كهنوتية ملكية، وإلا لما جاز له تقديم الخبز والخمر. وبتأملنا جيّداً قوله "وأخرج ملكيصادق خبزاً وخمراً لأنه كان كاهناً للعلي"، هذا التقديم هو عهد مقدّس لا يجوز أن يخونه أحد، وعليه قد جعل ابن الله جسده ودمه عهداً جديداً لنا⁶²⁰. وبولس يجعل من يخون عهد المسيح الجديد بالخبز والخمر مجرماً إلى جسد المسيح ودمه، وتصيبه دينونة عظيمة في الآخرة، وأمراض وسقم وموت في هذه الحياة⁶²¹... إنّ عيد الخبز والخمر كان جارياً بين أكثر قبائل الشرق، ولا سيّما الكنعانيين والشعوب السامية الأخرى كما جرى بين يعقوب وحميه⁶²² حيث أكلوا طعاماً فوق كومة

⁶¹⁷ متى 2/9.

⁶¹⁸ متى 24/15.

⁶¹⁹ لوقا 18/4.

⁶²⁰ متى 28-27/26 ومرقس 24-22/14 ولوقا 20-19/22.

⁶²¹ 1 قورنثس 11/23-35.

⁶²² 46-44/31.

الحجارة ودعاها لابان "يجر سهدوتا" - الحجر الشاهد... ويعقوب دعاها باسم "جلعاد"
أي: كومة الحجارة الشاهدة. وكذلك فعل يشوع وأقام عهدًا مع الجبعونيين⁶²³...
هذه التقادم التي قدّمها ملكيصادق إنّما كانت تقدّم للإله العظيم، الذي كانوا يدعونه:
إيل إيلون الله العالي أو إله الآلهة، الذي كان يراه ملكيصادق وإبراهيم على حدّ سواء الإله
الواحد السرمدى الأزلي. والدور الذي قام به ملكيصادق هو دور الكهنوت المسيحي الذي
يعمّ جميع الناس وجميع العائلات، فيما الكهنوت اللاوي، الذي رآه إبراهيم، فلا يشمل إلا
عائلة واحدة هي عائلة لاوي، وهو كهنوت أدنى من كهنوت ملكيصادق الذي هو كهنوت
المسيح. ويسعى الربانيون في تأويلاتهم وتفسيرهم إلى نسيان هذه الحادثة، فيما التفسير
والتأويل المسيحي يذكره كمقدمة لما سيفعله المسيح عند تجسّده لخالص البشر...

5. ملكيصادق وداود⁶²⁴

مارس داود، لما جلس على عرش أورشليم، سياسة تتوافق مع ما كان عليه الملوك
السابقون، وعليه نرى المزمور 109 يقدّم لنا الملك الإسرائيلي كمكمل للمملكة والسياسة
الملكیصادقیتین، وقال في ذلك بما معناه: بما أنك ملك أورشليم، وقد أقسمت بأنّ كل ملك
في أورشليم يجب أن يسير سيرة ملكيصادق، إذن، فهو كاهن إلى الأبد وعلى رتبته،
ويقوم بأعماله إلى أن يأتي ذلك السيّد الذي له الملك والحبريّة والكهنوت... راح إسرائيل
ينتظر ذلك المخلص الذي يجمع في شخصه الملك والحبريّة والكهنوت معًا، وقد صرّح
كثير من الأنبياء أنّه في زمن مجيء المسيح ستجتمع السلطان معًا "ها إنّها ستأتي أيام
يقول الرّب... أنبت لداود نبتًا صديقًا الحكم والعدل في الأرض، في تلك الأيام يخلص
يهودا وتسكن أورشليم في الدعة..."⁶²⁵. وكذلك يصرخ زكريا في نبوءته⁶²⁶، ووعد

⁶²³ يشوع 3/9-18 ولا سيّما الأعداد 12 - 13 - 14.

⁶²⁴ مزمور 109 أو 4/110.

⁶²⁵ إرميا 14/33-22.

⁶²⁶ فصول: 3، 4، 5، 6.

إسرائيل وأورشليم بالملك الذي يأتي إلى أورشليم وديعًا على جحش ابن آتان⁶²⁷، لكنّ بعضهم يعزّي الملك والكهنوت معًا للكاهن الأعظم، وهذا كان فعلاً في عهد المكابيين "نحن نقيمك كاهناً أعظم وتسمّى ولي الملك..."⁶²⁸. رضي سمعان أن يكون كاهناً أعظم ورئيساً وقائد أمة اليهود... هذا ما كان يرجوه الكتبة اليهود الذين كتبوا عهد الاثني عشر أباً (سفر الأحبار). بينما هناك كثيرون بقوا محافظين على أمانة النبوءة والعهد الملكيصادقي، والتوجيهات التي أعلنها داود عن الملك الكاهن المخلص الآتي الذي يجمع ويوحّد المملكة المطهّرة والكهنوت الشرعي إلى واحد، كما جاء في قول بولس: "وجعل من الاثنيين واحداً"⁶²⁹. وهذا ما سيتمّه يسوع المسيح الملك والكاهن الأبديّ، على ما يرضي مجده الإلهي...

6. العائلة الكهنوتية

لنتوقّف قليلاً ونتأمّل بقول بولس الرسول: "لو كان بالكهنوت اللاوي الذي به وضع الناموس المشعّب فما الحاجة بعد إلى حبر آخر يقوم على شبه ملكيصادق، ولم يقل على شبه هارون. لأنّ كان التغيّر في الحبريّة كان التغيّر في الشريعة أيضاً"⁶³⁰. ونرى هنا أنّ الله قد فضّل ملكيصادق على آل لاوي، لأنّه لو كان الكهنوت اللاوي الذي جاء بالأمر لا بالرسامة، كما رأينا، أي بالعهد "كرّس يدي هارون وأيدي بنيّه"⁶³¹، لأنّ رسامة ملكيصادق مسيحانيّة، ممتدّة من الله إلى آدم، حيث قال الله: "لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا"⁶³²، ولما خطئ آدم احتاج إلى من يستمدّ له البركة، ويكون مثلاً للكاهن الأعظم

⁶²⁷ زكريا 9/9.

⁶²⁸ 1 مكابيين 20/10 و 41/14-49.

⁶²⁹ أفسس 15/2.

⁶³⁰ عبرانيين 7/11-12.

⁶³¹ خروج 9/29.

⁶³² تكوين 1/26.

الإله الإنسان، إذ أنّ الله وعده بالمخلص، لذلك رسم الله آدم كاهنًا، وهذا نستنتجه من قوله تعالى "هوذا آدم صار كواحد منّا يعرف الخير والشر"⁶³³، وذلك بعد أن صنع لآدم وامرأته أقمصة من جلد⁶³⁴، ومن آدم إلى قايين البكر⁶³⁵، لكن لما خطئ وقتل أخاه هابيل حسدًا⁶³⁶، ومن بعده رسم آدم ابنه شيثا الذي هو على مثاله⁶³⁷، إذ اعتبره بعضهم بمنزلة البكر بعد قايين⁶³⁸، وبذلك نرى أنّ آدم مخلوق على صورة الله، وشييت على صورة آدم وهكذا نرى التسلسل البشري والكهنوتي⁶³⁹، وشييت رسم أنوش، الذي ذكرنا. وفي ذلك قال آدم عند ولادة شييت: "... قد أقام الله لي نسلًا آخر بدل هابيل"⁶⁴⁰، ولم يذكر نسله من قايين، وفي زمن أنوش تكاثر الناس أكثر ممّا كانوا عليه، وراح أنوش يجتمع بهم للدعاء باسم الله⁶⁴¹، وأنوش رسم قينان⁶⁴²، وهكذا تسلسل هذا الكهنوت حتّى وصل إلى أخنوخ⁶⁴³...

نتوقف قليلاً عند أخنوخ، فنجد أنّ الكتاب المقدّس اهتمّ لأخنوخ وذكره وذكر عمله مع الله مرتّين، ثمّ ذكر حياته القصيرة بالنسبة إلى سائر أجداده، فإنّه عاش ثلاث مائة

⁶³³ تكوين 22/3.

⁶³⁴ تكوين 22/3.

⁶³⁵ تكوين 1/4.

⁶³⁶ تكوين 8-1/4.

⁶³⁷ تكوين 3/5.

⁶³⁸ تكوين 3/5.

⁶³⁹ تكوين 27-26/1 و2-1/5.

⁶⁴⁰ تكوين 25/4.

⁶⁴¹ تكوين 26/4.

⁶⁴² تكوين 12-9/5.

⁶⁴³ تكوين 24-19/5.

وخمسة وستين سنة⁶⁴⁴، ويمتاز أخنوخ عن سائر أجداده، بأنه حفظ نعمة سرّ الكهنوت وسلك مع الله سلوكًا حسنًا، لذلك قارنت حياته القصيرة هذه بالعدد الكامل إذ فيها العدد المفرد الدال على الوجدانية والتثليث معًا، وفيها الصفر الدال على البدء الكوني "وكانت الأرض خربة خاوية"⁶⁴⁵، أي كانت الأرض صفراء وأيضًا إن العدد 365 يدلّ على أيام السنة الشمسية، وهي كمال السنة وفيها تتمّ أربعة عهود. وقد أقام الله من أخنوخ كاهنًا وهو يسلم كهنوته إلى ولده متوشالغ. فأخنوخ هذا بما أنّه سلك مع الله سلوكًا لا شائبة فيه، أحبّ الله أن يجعله باكورة للذين يحفظون نعمة سرّ الكهنوت الإلهي، ويكون عمره قصيرًا كعمر السيّد المسيح، وبهذا الكهنوت يرتقي إلى أعلى السماوات، وبهذا الكهنوت يستمطر الكاهن النعم الإلهية، وأعظم من ذلك أن كهنة العهد الجديد يستنزلون الله نفسه ليحلّ في القربان الأقدس. أو لم يقل السيّد: "إنّ من يؤمن بي لا يعمل الأعمال التي أنا أعملها فحسب بل أعظم منها"⁶⁴⁶، وأيّ عمل عمله المسيح فالكاهن - اللهمّ كاهن النفوس - فهو يعمل...

أخنوخ نقله الله إلى حيث يريد، كما نقل إيليا⁶⁴⁷، ليكونا شاهدين أمام مجيء المسيح الثاني، إذ يعطيها أن يتنبأ ألفًا ومائتين وستين يومًا، لابسين مسوحًا... وهما الزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام الرب⁶⁴⁸... قد جاء عن الزيتونتين والمنارتين في سفر زكريا 13-3/4، بأنهما يدلان على زربابل رئيس الشعب ويشوع بن يوصادق الكاهن الأعظم. أمّا في العهد الجديد فإنهما يدلان، حسب تفسير البعض، على الرسولين بطرس وبولس

⁶⁴⁴ تكوين 23/5.

⁶⁴⁵ تكوين 1/1.

⁶⁴⁶ يوحنا 12/14.

⁶⁴⁷ 4 ملوك 11/2.

⁶⁴⁸ رؤيا 4-3/11.

عمودي الكنيسة - هذان هما إيليا وأخنوخ اللذان ذكرهما سفر الرؤيا، وهذا ما فسّره الآباء
القديسون وعامة أهل التفسير...

نقل أخنوخ كان بدون موت، كما جاء في قوله "أخنوخ أرضى الله فنقل (لم يموت)
وسينادي الأجيال إلى التوبة"⁶⁴⁹، وأيضاً "لم يخلق على الأرض أحد مثل أخنوخ الذي
نقل عن الأرض (لم يموت)"⁶⁵⁰. وقد جاء عن أخنوخ قوله "بالإيمان انتقل أخنوخ ولم يذق
الموت ولم يوجد لأنّ الله نقله، ومن قبل أن ينقله كان مشهوداً له بأنه أرضى الله"⁶⁵¹.
والمعنى أنّ حياة أخنوخ كانت موافقة لإيمانه العميق بالله تعالى ومطابقة لمشيئته تعالى.
لذلك جعله الله باكورة المنتقلين (من البشر) إلى السماء بأجسادهم التي سيمجدها الله
ويردّها إلى حالتها الأولى قبل الخطيئة. ثمّ أنّ الله هيأ أخنوخ وإيليا ليكونا شاهدين للمسيح
ويقاومان الشرور في آخر الزمان، عند استفحال أمر الشرور، وقبل في زمن المسيح
الدجال الذي سيفتلهما، كما جاء في الرؤيا، في أورشليم⁶⁵²...

قبل انتقال أخنوخ سلّم عهد الكهنوت إلى ولده متوشالحو وهذا سلّمه إلى ولده لامك⁶⁵³.
لا تخلط بين لامك بن متوشالحو هذا ولامك بن متوشائيل الذي من سلالة قايين والذي اتخذ
امرأتين⁶⁵⁴، فلامك الذي من سلالة شيت⁶⁵⁵. سلّم الكهنوت إلى نوح. وبالمقابل، كما رأينا
آدم يلد ولداً على مثاله كصورته⁶⁵⁶. كذلك نرى نوح يرث جدّه أخنوخ السلوك الحسن مع
الله "أمّا نوح فقد نال حظوة (بركة الكهنوت) في عين الربّ. وكان برّاً في أجياله وسلك

⁶⁴⁹ سيراخ 16/44.

⁶⁵⁰ سيراخ 16/49.

⁶⁵¹ عبرانيين 5/11.

⁶⁵² رؤيا 12-3/11.

⁶⁵³ تكوين 26-25/5.

⁶⁵⁴ تكوين 19-18/4.

⁶⁵⁵ تكوين 13/5 الخ.

⁶⁵⁶ تكوين 3/5.

نوح مع الله" ⁶⁵⁷. وقوله "نوح وجد برًا كاملاً وبه كانت المصالحة في زمان الغضب... وأقيمت معه عهد..."⁶⁵⁸، وسنرى هذه المصالحة في حياة المسيح الإله الإنسان وصلبه وموته وقيامته... لكنّ الله لم ينقل نوحًا إليه، بل جعله يجدد البشريّة ويجعلها تتناسل من جديد⁶⁵⁹، وبذلك لم ينقطع التسلسل الكهنوتي حتّى وصل إلى ملكيصادق...

قال يوسيفوس عن ملكيصادق بأنّه كان ملك الكنعانيين وهو المدعو بالبار بلغة وطنه وهو كذلك. وقال يوسيفوس أيضًا بأنّ ملكيصادق هو الذي بني أورشليم. قال كرنيليوس الحجري: إنّ ملكيصادق كان ملكًا وبالتالي حبرًا، لأنّ ملوك كنعان يجب أن يكونوا كهنة أو أحرارًا، لتكون ولايتهم كاملة دينًا ودنيا، وقوله "لأنّه كان كاهنًا للعلي" (تك 18/14)، وقوله أيضًا "لأنّ ملكيصادق... كاهن الله العلي"⁶⁶⁰. بثبت ذلك، ويميّزه عن كهنة الأصنام وكهنة الوثنيين. أمّا قوله "ولم يذكر له أب أو أم"⁶⁶¹. ليس معناه، أنّ ملكيصادق جاء من السماء، بل كان له أب وأمّ، بل معناه: إنّ كهنوت ملكيصادق أتاه من الله مباشرة، ولو تسلّمه من الأجداد، فقد قال يوسيفوس: إنّ ملكيصادق هو ملك من ملوك الكنعانيين، وهو كباقي الناس له أب وأمّ، وكان مع جماعته يعرفون الله ويتصرفون حسب أوامره، قال ديونيسيوس وابيفانوس وغيرهم: كان لملكيصادق أب وأمّ. لكنّ الكتاب سكت عن ذكرهما، لأنّ حبريّة ملكيصادق إلهيّة ولتكون رمزًا لكهنوت المسيح الأبدي. وليكون لملكيصادق حبرًا وملكًا وبارًا فيشابه بذلك المسيح أيضًا، ويكون رمزًا له، وكلّ هذا بتدبير الله ليجعل الناس يقبلون ويتفهمون كيفيّة التجسّد الإلهي والفداء والكهنوت الأبدي⁶⁶² القائل "بأشباه

⁶⁵⁷ تكوين 9-8/6.

⁶⁵⁸ سيراخ 19-17/44.

⁶⁵⁹ تكوين 1/9.

⁶⁶⁰ عبرانيين 1/7.

⁶⁶¹ عبرانيين 7 كله.

⁶⁶² راجع عبرانيين 1/1.

شتى ورموز مختلفة كَلِم الله آباننا...". والمسيح الإله الإنسان كان في زمن بشريته⁶⁶³،
حبراً وملكاً وباراً. ومن حيث هو الله الذي ظهر في الجسد⁶⁶⁴، له السلطان ثمّ قوله: لا أب
له، نظراً إلى ناسوت المسيح الذي لم يكن له أب على الأرض. وقوله "لا أمّ له"، نظراً
إلى لاهوت المسيح الأزلي. وقوله "لا بداية أيام ولا نهاية حياة"، فمشابه للمسيح باعتبار
الوهية المسيح الأزلية والسرمديّة. ويشبه المسيح أيضاً، بتقديمه الخبز والخمر⁶⁶⁵.
وبرهان كهنوت ملكيصادق أنّه من الله، قوله "أقسم ولن يندم (أقسم بذاته) أن أنت كاهن
إلى الأبد على رتبة ملكيصادق"⁶⁶⁶. ثمّ إنّ ملكيصادق هو من الكنعانيين الذين لا صلة لهم
مع العبرانيين، فيما لو رجعنا إلى التوراة نرى أن السبط الذي منه المسيح بالجسد لا
علاقة له بالكهنوت مطلقاً، كما قال بولس: "إنّ الذي قيلت فيه هذه إنّما ولد من قبيلة
أخرى لم يخدم أحد منها المذبح. وهذا واضح إنّ ربنا أشرق (ظهر) من قبيلة يهوذا التي
لم يصفها موسى بشيء من الحبريّة"⁶⁶⁷. هكذا كان كهنوت ملكيصادق. الكهنوت الأبدي
الذي رسّخه ورثبه يسوع المسيح في العهد الجديد...

7. ملكيصادق ويسوع⁶⁶⁸، خلاصة البحث

إنّ يسوع الإنسان (الطبيعة البشريّة) متحدّر من آدم فأبراهيم وداود⁶⁶⁹، فنرى
استناداً إلى هذا، بحسب ما جاء في رسالة بولس إلى العبرانيين أنّ يسوع الكاهن مارس
رتبة الكهنوت الكامل، الذي لا علاقة له مع كهنوت لاوي، كما رأينا، فإنّ كهنوته يكمل

⁶⁶³ عبرانيين 7/5.

⁶⁶⁴ 1 تيموثاوس 16/3.

⁶⁶⁵ راجع 1 كورنثس 23/11 الخ.

⁶⁶⁶ مزمو 4/109 وعبرانيين 21/7.

⁶⁶⁷ عبرانيين 14-13/7.

⁶⁶⁸ عبرانيين 10-6/5 و 20/6 و 7 كله ومعه 8 للتوضيح.

⁶⁶⁹ متى 1-1/6 ولوقا 34-23/3 و 38.

الكهنوت الملوكي لداود المسيحاني، خلقًا لمليصادق⁶⁷⁰، إذ منذ التكوين نرى أنّ هذا الكاهن الملك يظهر كرئيس على الكهنوت اللاوي، لا بل أعلى منه، إذ أنّ نسل لاوي، بشخص إبراهيم، خضع لمليصادق وأدى له العشور عن كل شيء، ونال منه البركة⁶⁷¹...

نرى، أيضًا، أنّ شخصيّة مليصادق، واسمه وجميع صفاته تبرز بعدّة نواح صفات يسوع. فقد ظهر مليصادق فجأة في الكتاب المقدّس "بدون بداية أيام ولا نهاية"⁶⁷²، فهو هنا صورة سابقة للسيد المسيح، كاهن أبديّ، واسمه ملكي-صادق الذي تفسيره: "ملكي هو محبّ العدالة"، فنرى قول الملاك للقديس يوسف، مفسّرًا له نبوءة أشعيا "لأنّ الذي حبل به هو من الروح القدس. فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع (الله يخلص) لأنّه يخلص شعبه من خطاياهم ليتمّ ما قيل بالنبي (أشعيا): ها إنّ العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره: الله معنا"⁶⁷³، ملك شاليم، الذي معناه ملك السلام أو كما يقال له بالسريانيّة: (ملكو شلومو - ملك السلام) وهذا ما أوضحه أشعيا عن المسيح بأنّه "أبا الأبد رئيس السلام، لنمو الرئاسة ولسلام ولا انقضاء له..."⁶⁷⁴، وأيضًا قوله عن ألوهيّة المسيح "أنا مبدع النور وخالق الظلمة ومجرى السلام"⁶⁷⁵. أو لم يجلب يسوع السلام والعدالة للعالم؟ فالقسم الذي ذكره المزمور 109 أو 4/110 يقول الربّ لداود بصورة رمزيّة بأنّه يقرّ ملكه إلى الأبد⁶⁷⁶. ويوضحه أكثر في زكريا عن السيد له المجد

⁶⁷⁰ مزمور 4/109.

⁶⁷¹ تكوين 19-18/14 وعبرانيين 5-1/7.

⁶⁷² عبرانيين 3/7.

⁶⁷³ متى 23-20/1 أشعيا 14/7.

⁶⁷⁴ أشعيا 7-6/9.

⁶⁷⁵ أشعيا 7/45.

⁶⁷⁶ 2 ملوك 7/13-14...

"هوذا الرجل الذي اسمه النبت أنه ينبت من ذاته ويبنى هيكل الرب"⁶⁷⁷. فهذا النبت أو يسوع المسيح لا يمتّ بصلة إلى الكهنوت اللاوي الخاطئ والمائت والكثير العدد، والذي كان كهنوت اللاوي بالموعد فقط لا بالقسم، بل إنّ هذا القسم وهذا الكهنوت راجع للملك الكاهن لابن داود الحقيقي يسوع المسيح البرّ الصادق غير المائت والوحيد الأزلي سيّد العهد الجديد، فضلاً عن أنّه سيّد جميع العهود وربّ السماء والأرض وخالق الكائنات بلاهوته، النهائي الذي جاء بالخبز والخمر كما كان يفعل ذلك قبلاً، وبدعوة إلهيّة وإلهام الروح القدس، بمليصادق الأمين...

إنّ ملكيصادق كان غريباً عن إسرائيل، كما أنّ المسيح غريب عن سلالة لاوي الكهنوتيّة، فملكيصادق كان من عامّة الناس ولكنّه كان شخصيّة دينيّة تلقن على ذاته معرفة الله وعبده وقام على خدمته فوهبه الله ما لم يهبه لآل إسرائيل وجعله رمزاً لذاته الإنسانيّة ولكهنوته الأبدي. كان ملكيصادق شخصاً ذا قوّة روحيّة صديقاً لإبراهيم، فنرى روحانيّته في كلمات البركة التي بارك بها إبراهيم: "مبارك أبرام من الله العليّ مالك السماوات والأرض. تبارك الله العليّ الذي دفع أعدائك إلى يديك"⁶⁷⁸. واسم ملكيصادق لا يزال يتردّد أبداً في رسامة الكهنوت المسيحي وفي تكريس المذابح. وفي القداس الروماني يتردّد في الصلاة الافخارستيّة. وفي الطقس الماروني، في صلاة الدّعاء في الأعياد الكبرى: الميلاد والفصح...

يبقى ملكيصادق الشاهد الأمين على شموليّة مخطّط الله العالم أجمع، لا لشعب واحد، وليقودنا إلى المسيح الإله الإنسان الكاهن الأبدي الذي لا يخدمه إسرائيل فحسب بل جميع شعوب العالم وجميع الأمم. وكلّ المخلوقات المنظورة وغير المنظورة...

⁶⁷⁷ زكريا 12/6.

⁶⁷⁸ تكوين 20-19/14.

الأعداد والأرقام

كان للأرقام أهميّة كبرى، وخاصّة لدى الكلدانيين والبابليين والفينيقيين. وقد استعملوا، قبل إيجاد الأرقام المعروفة، لدى العرب، بالأرقام الهنديّة، الأحرف الأبجديّة، وقسموها إلى ثلاثة أقسام: الأحاد - العشرات - المئات. أمّا الألف فقد جعلوها في الرقم: (1)، وبعد زيادة الأحرف الأبجديّة جعلوا حرف: (غ) في مقام الألف، وإليك هذا الجدول مع معادلاته الحسابية:

أ ب ج د ه و ز ح ط ي وهي

أرقام

الأحاد

10 9 8 7 6 5 4 3 2

ك ل م ن س ع ف ص وهي

أرقام

العشرات

90 80 70 60 50 40 30 20

ق ر ش ت ث خ ذ ض وهي

أرقام

المئات

80 70 60 50 40 30 20 10

0 0 0 0 0 0 0 0

ظ = 900 غ = 1000

والرقم (1000) يدلّ على عدد غير محدود، وكذلك (120000).
وقسموا هذه الأرقام إلى: أعداد مفردة وإلى أعداد مزدوجة. فالمفرد هي الأعداد التي لا تقبل القسمة إلا على ذاتها فقط. مثل: 1-3-5-7-9-11-13-15-17-19 الخ.
أمّا الأعداد المزدوجة هي التي تقبل القسمة على أعداد مزدوجة مثل: 2-4-6-8- الخ.

الواحد (1) يدلّ على وحدانيّة جوهر الله، الذي لا يقبل القسمة إلا على ذاته مثلاً: 1=1. وهذه الأعداد قد وردت في العهد القديم مكتوبة بأسمائها، مثلاً: "ثلاث نساء بنيه"⁶⁷⁹. وأيضاً "ولد لنوح ثلاثة بنين"⁶⁸⁰، ووردت في العهد الجديد أيضاً. مثلاً: "وبعد ستة أيام مضى يسوع ببطرس ويعقوب ويوحنا"⁶⁸¹.

أمّا العدد (3) فيدلّ على الكمال الإلهي الذي لا ينقسم ولا ينفصل، كالشمس في جرمها. فالقرص هو المصدر للنور والحرارة. ولا يمكن أن يتبدّل القرص والنور الصادر عن القرص لا يمكن أن ينتقص أو يتغيّر، ولا يمكن للحرارة الصادرة عن القرص والنور معاً أن تتغيّر أو تنقص. كما لا يمكن للشمس بكلّ جوهرها أن تتغيّر أو تتبدّل. وهكذا الثالوث الأقدس الأب والابن والروح القدس الإله الواحد لا يتبدّل. الأب أرسل الابن إلى الأرض وبقي في السماء مع الأب⁶⁸²، فكان الابن نور العالم الذي "يشرق في الظلمات"⁶⁸³ و"النور جاء إلى العالم"⁶⁸⁴ و"أنا نور العالم"⁶⁸⁵. والأب أرسل الروح

⁶⁷⁹ تكوين 13/7.

⁶⁸⁰ تكوين 1/6.

⁶⁸¹ متى 1/17 الخ.

⁶⁸² يوحنا 13/3 و 58/8 و 9/14 الخ.

⁶⁸³ يو 5/1

⁶⁸⁴ يوحنا 19/3.

⁶⁸⁵ يوحنا 12/8.

القدس، بناء لطلب الابن "أنا أسأل الآب، فيهب لكم مؤيداً آخر يكون معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يتلقاه لأنه لا يراه ولا يعرفه"⁶⁸⁶. "ومتى جاء روح الحق أرشدكم إلى الحق كله... لأنه يأخذ مما لي ويخبركم..."⁶⁸⁷. مع العلم أن يسوع هو الحق أيضاً "أنا هو الطريق والحق والحياة"⁶⁸⁸، وأيضاً، حلول الروح القدس على التلاميذ بالسنّة ناريّة دلالة على قوّة حرارة الروح القدس الله⁶⁸⁹. مع العلم، أيضاً، أن كتاب أعمال الرسل هو إنجيل الروح القدس ولهذا نقول في قانون الإيمان "الروح القدس... الناطق بالأنبياء والرسل... حسب قول الرب يسوع ووعدده "لستم أنتم المتكلمين لكن روح أبيكم يتكلم بلسانكم"⁶⁹⁰.

وكان، لدى الشعوب القديمة، للعدد (3) قوّة عظيمة وأهميّة كبرى، ففضلاً عن دلالة هذا العدد على الثالوث، يدلّ على تأكيد وتعظيم الأشياء وتضخيمها، وكان اليهود يشدّدون على أمر ما فيذكرونه ثلاث مرّات "هيكل الربّ! هيكل الربّ! هيكل الربّ!"⁶⁹¹، وأيضاً في التشديد والدلالة على شدّة الغضب "يا أرض! يا أرض! يا أرض! اسمعي كلمة الربّ"⁶⁹². وما ذلك إلا لأنّ الشعب والملوك جميعاً قد انحرفوا عن طريق الربّ. أمّا العدد (4) فيشير إلى كمال الجهات "... شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً"⁶⁹³. ويدلّ العدد (4) على الرياح الأربع "تنبأ يا ابن الإنسان وقل للروح: هلمّ أيها الروح من

⁶⁸⁶ يوحنا 14/16-17.

⁶⁸⁷ يوحنا 13/16-14.

⁶⁸⁸ يوحنا 6/14.

⁶⁸⁹ أعمال 1/2-4.

⁶⁹⁰ متى 10/20.

⁶⁹¹ إرميا 4/7.

⁶⁹² إرميا 29/22.

⁶⁹³ تكوين 14/13.

الرياح الأربع وهب على هؤلاء...⁶⁹⁴؛ وحيوانات حزقيال أربعة ولكلّ أربعة وجوه وأربعة أجنحة⁶⁹⁵، وأنهار الفردوس أربعة⁶⁹⁶، والعربات أربع⁶⁹⁷.
 أمّا العدد (5) فيدلّ على طقوس وذبائح أمر بها الربّ⁶⁹⁸، وقد يدلّ العدد (5) على جراحات السيّد الخمسة، وعلى عدد، نوعًا ما، تفصيلي، لأنّ حصّة بنيامين خمسة أضعاف حصّة إخوته⁶⁹⁹. ويدلّ أيضًا على الثمن الرخيص الزهيد "خمسة عصافير بفلسين"⁷⁰⁰. ويدلّ على المنفعة الحاصلة للنفوس "خمس كلمات يفهمها الناس أفضل من عشرة آلاف كلمة لا يفهمها أحد"⁷⁰¹. ويدلّ العدد (5) على عدد أصابع اليد الواحدة، فهذا العدد، عند البعض، علامة شؤم، وعند البعض، وعند البعض الآخر، علامة انطباع العلوم في الذاكرة، فعلامة الشؤم، نرى كثيرين يقولون، في إبعاد الشرّ: "خمسة بعيون الشيطان"؛ وفي البعض: نراهم يفرشون الكفّ كلها بأصابع اليد الواحدة في قفا من يبغضون (كبتولة). وقد نشأ، من ذلك، عند البعض رسم صورة كفّ بأصابعها مع عين في وسط الكفّ لردّ صيبة العين. (الصليب أو أيقونة أو أي ذخيرة مقدّسة أفضل). وفي الإنجيل: العذارى الخمس الحكيمات والخمس الجاهلات. والوزنات الخمس⁷⁰². وأيضًا، تعويض المسروق خمسة أضعاف⁷⁰³.

⁶⁹⁴ حزقيال 9/37.

⁶⁹⁵ حزقيال 10-1/1، ودانيال 3/7 ورؤيا 8-6/4.

⁶⁹⁶ تكوين 14-10/2.

⁶⁹⁷ زكريا 5-1/6 الخ.

⁶⁹⁸ عدد 29-17/7.

⁶⁹⁹ تكوين 6/43.

⁷⁰⁰ لوقا 6/12.

⁷⁰¹ 1 قورنثس 19/14.

⁷⁰² متى 28-1/25.

⁷⁰³ خروج 37/21 أو 1/22 في الطبعة القديمة وطبعة فاندايك.

أمّا العدد (7) فهو رمز البركة وعلامة الكمال، إذ فيه عدد مزدوج (4) وفيه عدد فردي (3)، ولذلك نرى أنّ التطهير ورش الدم (7) مرّات "ويغمس الكاهن إصبعه فيه (الدم) ويرشّ منه سبع مرّات"⁷⁰⁴. والاعتسال سبع مرّات لشفاء المرض⁷⁰⁵. وذبح سبعة حيوانات في رأس كلّ شهر⁷⁰⁶.

ويرتبط العدد (7) بأشياء مقدّسة: الملائكة سبعة⁷⁰⁷. الكهنة الذين حملوا الأبواق كانوا سبعة وطاقوا حول أريحا سبع مرّات⁷⁰⁸. أيام الأسبوع (7) ليصلوا بها إلى قداسة يوم السبت⁷⁰⁹. عدد الكنائس (7)⁷¹⁰، حلم فرعون (7) سنابل و(7) بقرات دلالة على الشبع والجوع⁷¹¹. وعدد ملائكة الرؤيا (7) وفي أيديهم (7) جامات وفيها (7) ضربات⁷¹²، والتنين له (7) رؤوس و(7) تيجان⁷¹³. ووصايا الكنيسة (7) وأسرار الكنيسة (7) ورمزها الأعين السبع على حجر زكريا⁷¹⁴، وهناك رموز نبويّة وتأمليّة⁷¹⁵.

⁷⁰⁴ أحبار 6/4 و17 و11/8، و7/14 وعدد 4/19.

⁷⁰⁵ 4 أو 2 ملوك 10/5.

⁷⁰⁶ عدد 11/28 وأيوب 8/42 و2 أحبار 21/29 وحزقيال 23/45.

⁷⁰⁷ طوبيا 15/12.

⁷⁰⁸ يشوع 4/6.

⁷⁰⁹ خروج 8/20.

⁷¹⁰ رؤيا 4/1.

⁷¹¹ تكوين 32-25/41.

⁷¹² رؤيا 8-1/15.

⁷¹³ رؤيا 3/12.

⁷¹⁴ زكريا 9/3.

⁷¹⁵ زكريا 2/4.

وأشعيا يتنبأ بأنّ الله سيجبر كسر شعبه⁷¹⁶. وعكس العدد (7) الرقم (6) الذي هو عدد الكمال الذي لم يتمّ، ويدلّ على النقص وعلى اسم الشيطان (666)⁷¹⁷. وحسابه هكذا:

لوسيفوروس (448).

المسيح (149).

الدجال (69).

المجموع (666) ولمعرفة كيفيّة حساب ذلك فهكذا:

$$448=60=س+6=و+200=ر+6=ف+60=س+6=و+30=ل$$

$$148=8=ح+10=ي+60=س+40=م+30=ل+1=أ$$

$$69=30=ل+1=أ+3=ج+4=د+30=ل+1=أ$$

فيكون المجموع 666⁷¹⁸.

أمّا العدد (10) فيدلّ على تمام عمل الله، فالوصايا (10)⁷¹⁹.

أمّا العدد (12) فهو عدد كامل إذ يدلّ رمزيًا على الاثني عشر سبطًا، فقد جعله المفسّرون رمزًا لرسل الربّ الاثني عشر⁷²⁰، ورسل الربّ هؤلاء هم سيدينيون أسباط إسرائيل ال (12) ويدلّ على الأبواب الاثني عشر المنقوش عليها أسماء أسباط إسرائيل⁷²¹. وتقوم على (12) أساسًا، عليها الأسماء الاثني عشر لرسل الحمل الاثني عشر⁷²². ويدلّ العدد (12) إلى العدد الكبير الكامل للعدد 12000 اثنا عشر ألفًا من كلّ

⁷¹⁶ أشعيا 26/30.

⁷¹⁷ رؤيا 18/13.

⁷¹⁸ رؤيا 18/13.

⁷¹⁹ خروج 17-1/20 وراجع معه بالمقابل وصايا الرب يسوع. متى 23/5 إلى الآخر. وقرون الوحش في الرؤيا 3/12،

وكذلك في دانيال 7/7 عددها 10.

⁷²⁰ متى 4-1/10.

⁷²¹ رؤيا 12/21.

⁷²² رؤيا 14/21.

سبط والذي مجموعه (144000)، في عدد المخلصين الذين لا يحصى (ليس كما يقول شهود يهوه).

عدد الكواكب التي تكمل هامة المرأة (والمرأة رمز العذراء أم البشرية الجديدة)⁷²³. وراح بعضهم يشير بالعدد (12) إلى البروج الشمسية الاثني عشر. ورقم (12) هو أساس النظام الحسابي عند البابليين.

أما عدد (40) فهو رمز كمال الكمال، فالرجل الذي بلغ الأربعين فهو رجل كامل، وقد فقهته الأيام والسنون، كما يدلّ على تيه بني إسرائيل (40) سنة في البرية قاصداً لهم "وبنوكم يكونون رعاة في البرية أربعين سنة... بعدد السنين الأيام التي استطلعتم الأرض فيها وهي أربعين يوماً"⁷²⁴.

ثمّ يدلّ الرقم (40) على صيام موسى في الجبل (40) يوماً و (40) ليلة⁷²⁵، وصوم إيليا (40) يوماً و (40) ليلة⁷²⁶. وعلى عدد الجلادات التي يجلدون بها المذنب⁷²⁷. وفي العهد الجديد على صوم الرب يسوع (40) يوماً⁷²⁸. وبعد القيامة كان يظهر الرب لتلاميذه مدة (40) يوماً. ولم يزل للأرقام أهمية كبرى فعليةا معولّ في الاختراعات والاكتشافات العلمية.

⁷²³ رؤيا 2-1/12.

⁷²⁴ عدد 34-33/14 والأفضل قراءة الفصل 14 من عدد 20 إلى 45، راجع يشوع 6/5 عاموص 10/2 و عاموص 25/5

مزمور 94 أو 10/95.

⁷²⁵ خروج 18/24.

⁷²⁶ 3 أو 1 ملوك 8/19.

⁷²⁷ تثنية 3/25.

⁷²⁸ متى 2/4 مرقس 13/1 لوقا 2/4.

المسيح من خلال تقرير بيلاطس البنطي حاكم اليهودية

أحببنا أن ننشر وثيقة تتكلم بصفة غير مسيحية عن ربنا يسوع المسيح. والوثيقة هي تقرير أرسله الحاكم بيلاطس البنطي إلى الإمبراطور طيباريوس قيصر، يتكلم فيه عن ظهور يسوع المسيح الناصري في الجليل. عني بترجمة وطبع ونشر هذه الوثيقة الأب دوماديوس البرموسي سنة 1940 عن مخطوطة موجودة في مكتبة الفاتيكان. وتجدر الإشارة أننا حتى الآن لا نملك دليلاً قاطعاً عن صحة هذه الوثيقة. على كل حال أردنا نشرها لتكون للجميع محطة نستفيد منها في تعميق إيماننا بالمسيح وبعمله الخلاصي من أجلنا.

"جلالة الملك طيباريوس قيصر الملك المفخم،

بعد تقديم ما يجب لسامي المقام من السلام والإكرام أعرض: إن الحوادث التي حصلت في ولايتي في هذه الأيام، هي ذات شأن عظيم، حتى رأيت من المناسب أن أحرر لجلالتكم تفصيلاتها، لأنه لا عجب إذا كانت تغيير مستقبل أمتنا مع مرّ الأيام وكرّ الأعوام. لأنه يظهر لي أنّ الآلهة غضت الطرف وتخلت عنا في هذه الأيام، حتى أنّي أكاد ألعن اليوم الذي استلمت فيه زمام حكومة اليهودية عقب (فاليريوس جراتيوس)، ولكن هكذا قدر وهكذا صار.

عند وصولي إلى أورشليم، استلمت محلّ القضاء، وأمرت بإعداد وليمة فاخرة دعوت إليها رئيس ربع الجليل ورئيس الكهنة وحاشيته ومعيته. ولكن لم يحضر أحد منهم في الميعاد المقرر للحضور، فاعتبرت ذلك مسبة وإهانة لمركزي ومقامي. وبعد أيام قليلة، تنازل جناب رئيس الكهنة وزارتي. وكانت تلوح على وجهة الهيبة والخداع، وادّعى أنّ ديانتته لا تبيح ولا تجيز له ولا لحاشيته الجلوس على مائدة الرومانيين

واهراق السكانب معهم. فرأيت أن الأقرب إلى الصواب والسياسة قبول اعتذاره. لكني تأكدت من هذه اللحظة أن هذه الأمة المقهورة التابعة لنا أضمرت العدوان والمناوأة لأسيادها المستولين عليها. ويظهر لي أن مدينة أورشليم هي المدينة الوحيدة التي يصعب حكمها بخلاف باقي المدن التي استولينا عليها، فإن دأب سكّانها الميل إلى العدوان والهيجان والاضطراب، بحيث أنني دائماً في أرق وقلق وجزع وفزع لنألاً يخلعوا دنثار الطاعة ويحدثوا القلاقل والفتن. وليس عندي لقمعهم وإخضاعهم سوى قائد مائة وشرذمة قليلة من العسكر تعدّ بالأصابع، وطلبت من والي سورية أن يرسل لي إمدادات، فأخبرني أنه لا يستغني عن نفر واحد من عساكره فإنهم غير كافين لحماية ولايته وحفظ الأمن إلا بشقّ النفس.

وأخشى أن التولع الزائد لفتح البلاد وتدويخ العباد وتوسيع مملكتنا بزيادة فاحشة حتى نعجز عن حمايتها والدفاع عنها يكون سبباً في ضعفة أركان حكومتنا الفخيمة. ومن الإشاعات التي طرقت أذني واستلفتت أنظاري بنوع خصوصي، هذه الإشاعة: وهي أن شاباً ظهر في الجليل يدعو الناس بمسحه وبلهجة شريفة إلى شريعة جديدة. وكنت أخشى في مبدأ الأمر أن تكون غايته توغير الصدور على الرومانيين وإغراءهم على القيام عليهم، ولكن، زال ما كان يختلج فؤادي من الريب وأنقشعت مخاوفي. فكان يؤخذ من كلام يسوع الناصري أنه يميل إلى الرومانيين أكثر من ميله إلى اليهود.

وفي ذات يوم، كنت ماراً في جهة (سلوا) حيث كان مجتمعاً جمهور من الناس، رأيت في بهوة الحلقة شاباً متوكناً على شجرة يخاطب الجمهور بهدوء وسكون. فقلت بعد الاستفهام إن هذا الشخص هو يسوع، وهو ما كنت أنتظره وأتوقعه ويلهمني إليه وجداني.

فإنه كان يوجد بينه وبين السامعين فرق عظيم، فلون شعره الذهبي ولحيته اللطيفة جعلت هيأته سماوية، ويظهر أنه بلغ من العمر ثلاثين سنة.

ولم أر في حياتي وجهًا صبوحةً أحلى أو أصفى أو أنقى من وجهه. وما أعظم الفرق بينه وبين سامعيه ذوي اللحى السوداء واللون الأسمر. ولما كنت لا أريد أن أشوش عليه استمررت في السير، ولكني أوعزت إلى كاتبتي (مانيليوس) حفيد زعيم المتأمرين الذين حلّوا في (أتروربه) في انتظار (كاتلين)، وكان مانيليوس سابقًا من اليهودية وله إمام باللغة العبرية، وأظهر الولاء والأمانة لي وهو جدير بثقتي.

ولما دخلت محلّ القضاء، لقيت مانيليوس فقصّ عليّ أقوال يسوع التي نطق بها في (سلوا)، ولم أسمع في خطب الخطباء ولا في مؤلفات الفلاسفة كلامًا يشبه كلام المسيح وجوامع علمه.

فسأله أحد اليهود القساة العصاة (فإنّ أمثال هذا العاتي كثيرون في أورشليم) وقال له: هل يجوز أن نعطي الجزية والجباية لقيصر أم لا؟ فأجاب يسوع: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

فلذا أعطيت هذا الناصري بسبب حكمة أقواله حرية تامة، لأنّه كان في استطاعتي وإمكاني إلقاء القبض عليه ونفيه إلى بنطس، ولكن لو فعلت هذا لكان منافيًا للإنصاف والعدل اللذين اشتهر بهما الرومان. فلم يكن هذا الرجل من المفسدين ولا من العصاة. وجعلته تحت ظلّ حمايتي ورعايتي، وإن لم أطلعه على ذلك. فيجوز له أن يفعل كيف يشاء، ويتكلم مع من يشاء، ويجتمع مع الناس ويخاطبهم ويختار تلاميذه بلا تضيق عليه ولا قيد. فإذا قدر (لا سمحت الآلهة بوقوع هذا الفال)، بأن تنسخ ديانة يسوع ديانة أسلافنا وجدودنا يكون سبب دفن ديانة روما في الرسم وزوالها من الوجود وإطلاق عنان الحرية للناس في الديانة، وأكون أنا الرجل التعيس آلة ووسيلة فيما يسميه المسيحيون العناية ونسّميه نحن بالمكتوب المقدر.

ولكنّ إطلاق الحرية ليسوع هيّج الأغنياء والأقوياء لا البائسين الفقراء (ولا ينكر أنّ يسوع كان صارمًا على الأغنياء والأقوياء) ومن رأيي أنّ عدم تقييد حرية الناصري هو لحكمة سياسة مفيدة، فكان يقول للكتبة والفريسيين ما نصّه "يا أولاد الأفاعي أنتم

تشبهون القبور المبيضة"، وكان يزدري بصدقة العشارين الصادرة عن الكبرياء، وأوضح لهم أن فلس الأرملة هو عند الله خير وأبقى وأثمن وأغلى. وكانت تقام شكاوي جديدة كل يوم في محلّ القضاء على وقاحة اليهود. وبلغني أنهم عزموا على الفتك به، وليست هذه المرّة الأولى التي رجمت فيها أورشليم أنبياءها. وبلغ عتوهم أن قالوا: إذا لم تنصفهم الولاية رفعوا دعواتهم إلى قيصر. ومع كلّ هذا، وقع سلوكي من مجلس (السناتو) في روما موقع الاستحسان، ووعدوني بإرسال الإمدادات بعد الحرب (البارتيانية). وبما أنه إذا استفحل الأمر وحصلت ثورة فليس في استطاعتي إخمادها لعدم وجود القوّة الكافية. فلذلك عزمت على اتّخاذ هذه الطريقة التي تتكفل باستتباب الهدوء والسكون في المدينة بدون تعريض الولاية للذلّ والاستكانة بالرضوخ لمقترحاتهم.

فأرسلت خطابًا إلى يسوع، طالبًا مقابلته في محلّ القضاء للتحدّث معه، فلبّي الطلب. ولا يخفي عنكم أنّ في عروقي يجري الدم الإِسباني المختلط بالدم الروماني بحيث لا أخشى من اضطراب الجأش. ولما وصل كنت أتمشّي في المحكمة وظهر أنّ قلمي ربطتا بيد من حديد بأرض المحكمة المبلّط بالرخام، وارتعدت فرائصي كأني مجرم مع أنّ الناصري كان هادئًا ساكنًا. ولما دنا منّي وقف وأشار لي: ها أنا قد أتيت. فتفرّست بالإندھال والهيبة في هذا الرجل العجيب الصورة والهيئة التي لم يكن لقرانح المصوّرين والنقاشين أن يأتوا بمثل هذا الشكل البديع، مع تفنّنهم في رسم صورة الآلهة والأبطال. وأخيرًا قلت له ولساني متلعثم: يا يسوع الناصري، قد منحتك في الثلاث السنين الماضية حرية وافرة لتخاطب الناس، وإنني غير متأسّف على هذا، فإنّ أقوالك هي أقوال حكيم ولا أعرف إذا كنت طالعت كتب سقراط أو أفلاطون أو غيرهما، ولكنّ الأمر الأكيد عندي هو أنّ خطاباتك وأقوالك مشهورة بالبساطة السامية التي ترفع قدرتك على أولئك الفلاسفة. وبلغ الإمبراطور خبر هذا، وبما أنّني النائب عنه في الحكم على هذه الأمة فأنا منشرح لأني منحتك هذه الحرية فإنّك جدير بها...

ومع ذلك فلا أخفي عنك أن أقوالك وخطابتك أحدثت لك أعداء أقوياء ألداء، ولا عجب في هذا، فقد كان لسقراط أعداء، ومن شدة بغضهم له جرّعوه غصص المنون. وأعداؤك يستاءون منك لسببين: أولهما أقوالك، وثانيهما الحرية التي خولتها لك. بل اتهموني بالاتحاد معك سرّاً لنجرّد العبرانيين من السلطة الطفيفة التي تركتها روما لهم. فغاية ما أتمسه منك، ولا أقول على سبيل الأمر، هو أن تزداد تبصراً واحتياطاً في المستقبل. ولا توغرّ أعدائك لنلاً يهيجوا عليك الأوباش، ويحملوني على استعمال آلات العدل.

فأجاب يسوع الناصري بهدوء: يا حضرة أمير الأرض، إنّ أقوالك هذه ليست صادرة من الحكمة الحقيقية. أيجوز أن تقول للتيار قف في وسط الجبل، لأنّه يستأصل أشجار الوادي؟ إنن لأجابك هذا التيار الجارف قائلاً: يجب عليّ أن أطيع نواميس الخالق. فالله هو الذي يعرف وحده المحلّ الذي يصب فيه التيار. الحق أقول لك إنّه قبل أن يزهر نرجس شارون يهرق دم البار.

فأجبتة بروعة وقلت له: لا يسفك دمك فإنّ منزلتك عندي بالنظر إلى حكمتك هي أسمى من منزلة جميع القديسين المتغترسين الميالين إلى الهيجان والعدوان، الذين لم يعرفوا قيمة الحرية التي خولها الرومان لهم، بل تألبوا على القيصر وتأمروا عليه وتوهّموا أنّ ما أظهرناه لهم من اللين هو خوف. ولم يدر هؤلاء الأسافل الوقحاء أنّه قد يلبس أحياناً ذنب الأحرّاش جلد الغنم. وعلى كلّ حال إنني سأحميك من مكائدهم، وسراي عدالتي هي مفتوحة لك تلتجئ إليها في أي وقت شئت.

فأطرق يسوع رأسه بلا مبالاة ولا اهتمام، وقال بلطف وتبسّم: إلهي متى حلّ يوم ابن الإنسان لا يكون له ملجأ في الأرض ولا تحت السماء، وإنّ ملجأ البار هو هناك. قال هذا مشيراً إلى السماوات، وأنّه ينبغي أن يتمّ ما هو مكتوب في كتب الأنبياء. فأجبتة بتودّد وقلت له: أيها الشاب، أنّك تلزمني على تغيير طلبتي إلى أمر. فإنّ سلامة الولاية

التي فوّض لي الاهتمام بشأنها تسلتزم ذلك، والواجب عليك أن تراعي زيادة الاعتدال في خطابتك، واتبع أوامري ولا تنقضها، ولترافقك السعادة، وأودعك في أمان الله.

فأجاب يسوع وقال: يا أمير الأرض، إنّي لم آت بحرب إلى هذا العالم بل أتيت بسلام ومحبة. ولدت في اليوم الذي أعطى فيه أغسطس قيصر سلاماً للعالم الروماني، فالاضطهاد لا يصدر منّي بل من غيري، وسألاقيه طاعة لإرادة أبي الذي أراني الطريق. إذا أکظم تبصرك الدنيوي فليس في طاقتك ولا في استطاعتك أن تحجز الذبيحة عن الفداء... قال هذا وأختفى كظل لامع خلف ستار السراي.

فالتجأ اليهود أعداء يسوع إلى هيرودس الذي كان والياً على الجليل وطلبوا منه أن ينفث انتقامه على الناصري. فلو فوّض لهيرودس الأمر، لأمر بقتل يسوع حالاً. ولكن مع تباهيه وافتخاره بمقامه الملوكي كان يخشى من الإقدام على عمل يحط من نفوذه.

ففي ذات يوم زارني هيرودس في محلّ الولاية. ولما عزم على الانصراف بعد أحاديث تافهة، استفهم منّي عما أراه بخصوص الناصري فأجبتة قائلاً: يظهر أنّ يسوع من كبار الفلاسفة الذين يندر ظهور مثله في الأمم العظيمة، وإنّ تعاليمه لا تمسّ حرمة الدين مطلقاً. وإنّ غاية روما أن تطلق له الحرية في الخطابة، فإنّ سلوكه وتصرفه يجعلان له حقاً في ذلك. فتبسّم هيرودس تبسّم الحقد والخبث وانصرف إلى حال سبيله بعد أن سلّم عليّ سلام متهمّ.

وبما أنّه عيد اليهود العظيم، كان عرض ائمة اليهود انتهاز فرصة ضجّة ورجّة وهرج ومرج الشعب، التي كانوا يظهرونها في احتفالات الفصح لدرك مآربهم. وكانت المدينة غاصّة برعاع اليهود أصحاب الشغب والاضطراب الذين كانوا يصيحون طالبين قتل الناصري. وأفادني رسلي بأنّ خزينة الهيكل صرفت على إغراء القوم على الهياج، والخطب، المبلغ الجسيم، حتّى تناولوا على قائد مائة روماني بالشتم. وطلبت من والي سورية أن يرسل إليّ مائة عسكري من المشاة ومائة أخرى من العساكر الخيالة حتّى

يسعفتي، فرأيت نفسي فريداً بشرذمة من العساكر يعدّون على الأصابع في وسط مدينة عاصية، وليس في استطاعتي تسكين هذا الاضطراب وإخماد نيران الشغب. ولم يبق سوى ترك الأمور تجري في مجاريها. فألقى الأوباش الهائجون القبض على يسوع. ولما آنسوا عدم الخوف من الحكومة، إذ ظلّوا مع زعمائهم أنني جزع وفزع من ثورتهم، تبادوا على الصياح قائلين: اصلبه، اصلبه.

وقد تحالف وتآمر في هذا الوقت ثلاثة أحزاب أقوىاء. وبيان ذلك أنّ الهيرودسيين اتحدوا مع الصدوقيين على إحداث الشغب والاضطراب لسببين، أولهما: تعصّبهم ضدّ الناصري، وثانيهما: تولّعهم لخلع نير روما والتحرّر من سلطانها. فلم يغفروا لي دخولي مدينتهم المقدّسة بالبنادر والعلام المرسوم عليها صورة إمبراطور روما، وقد وقعت في هذا الخطأ المشنوم جهلاً منّي بعباداتهم، فاستبشعوا واستعظموا هذا الأمر الثّاني الذي أوغر صدورهم. ومما زاد حقدهم وكيدهم هو أنني كنت أمرت بصرف جانب من خزينة الهيكل في تشييد أبنية ذات منافع عموميّة فنبذوا هذه الإشارة ظاهرياً.

وأيضاً كان الفريسيّون أعداء المسيح الألداء ولم يكثرثوا بحكومتنا وتجرّعوا غصص التوبيخات والتنديدات الصارمة التي رجمهم بها الناصري مدّة ثلاث سنوات، حيثما توجه، ولما كانوا على جانب عظيم من النذالة والجبن وخور العزيمة، ولجوا باشتياق وولع أبواب مشاحنات الهيرودسيين والصدوقيين. وزيادة على هذه الأحزاب الثلاثة، عليّ أن أكافح الأوباش والرّعاع الجامحين في الغوايات، الميالين. إلى الانحياز إلى الثورات والفتن، لأنّهم يستفيدون من الفوضى والاختلال الناشئ عن هذه الفتن.

فساقوا يسوع إلى أن أتوا به أمام رئيس الكهنة الذي كان وقتئذ قيافا، فأبدى رئيس الكهنة عملاً دلّ على خضوعه السخري، فإنّه لو كان خاضعاً حقيقياً وممثلاً امتثالاً صادقاً لما حكم على يسوع بالموت. فأرسل إليّ لأنطق بالحكم على يسوع، فأجبتة قائلاً: بما إنّ يسوع كان جليلياً فهذه القضية هي من اختصاصات هيرودس، وبناء عليه أمرت بإرساله إلى اليهوديّة... وكنت اقترنت بزوجة من الغال (فرنسا) ادّعت أنّ لها

علمًا بالمستقبل، فبكت وألقت بنفسها عند قدميّ وقالت لي: احترس، ولا تمسّ هذا الرجل لأنه قدّوس، فقد رأيتُه البارحة في رؤيا الليل ماشيًا على الماء وطائرًا على أجنحة الرياح، وكلم العاصفة وأسماك البحيرة، وكان الكلّ مطيعًا له ممتثلًا لأمره، وها هوذا سيل جبل قدرون جاريًا بالدمّ وتمائيل القيصر ملآنة بأقذار حيوانية، وأعمدة الإنتربريم سقطت وسترت الشمس حدادًا كالعداري الباقيات على القبر، فيا بيلاطس إذا لم تُنصت لالتماس زوجتك لا بدّ أن يلاقيك الشرّ، وأخش لعنة السناتور الرومانيّ وبأس قيصر.

وفي هذه الأثناء، كادت سلالم الرخام أن تسقط من ثقل الأفواج الكثيرة، فأتوا ثانية بالناصرى إليّ، فتوجّهت إلى كرسي القضاء يتبعني حرسى، وسألت المتجمهرين بصوت صارم عمّا يطلبونه، فأجابوا: نطلب موت الناصري. فقلت لهم: وأي ذنب اقترفه؟ فأجابوا قائلين: إنّه قد جدّف وتنبأ عن خراب الهيكل، وقال إنّه ابن الله وإنّه الماسيّا ملك اليهود. فقلت لهم: إنّ القانون الروماني لم يقدر عقابًا بالموت علّة مثل هذه الذنوب. فصاح هؤلاء الجماهير العتاة القساة قائلين: اصلبه، اصلبه. وكاد صياح هذه الجماهير الهائجين المائجين أن يززع أساس القصر. وكان في وسط هذه الجماهير الكثيرة شخص ساكن هادئ، وهذا الشخص هو الناصري. وبعد أن بذلت جهودى مرارًا عديدة لوقايته وحمايته من مضطهديه القساة المجرّدين من الشفقة والرحمة لم يجد ذلك نفعًا، فاتخذت هذه الطريقة التي ظهر لي أنّها الطريقة الوحيدة لإنقاذ حياته، وهي أنّي أمرت بجلده. ثمّ طلبت طشتًا وغسلت يدي أمام الجماهير مشيرًا بذلك إلى استهجان عملهم. ولكن لم يأت ذلك بثمره ولا فائدة، فإنّ نفوس أولئك الأشقياء ظمّانة لقتله.

وكثيرًا ما رأيت في ثوراتنا الداخليّة هيجان الجماهير وأحقادهم، ولكن ليست بشيء بالنسبة لما رأيت من اليهود في هذه الحالة، حتّى يمكن أن يقال أنّه قد اجتمعت جميع الأرواح الجهنميّة في أورشليم، وكان يلوح لي أنّ هؤلاء الجماهير غير ماشين على الأرض بل محمولين على الأمواج المتلاطمة من أبواب محلّ القضاة لغاية جبل

صهيون، يعجّون ويصيحون ويجأرون ويزأرون، ممّا لم يسمع بمثله في فتن البانوتيّة أو في ميدان روما.

فأخذ النهار يعتم ويظلم بالتدرّج مثل شفق الشتاء، وكان مثله مثل الظلام الذي شوهد عند موت يوليوس قيصر العظيم الذي كان في 15 آذار. أمّا من جهتي أنا والي هذه البلاد، فكنت متكناً على عمود من أعمدة قصري شاخصاً من الظلام المخيف إلى أدوات العذاب التي يجذبون الناصري البريء ليجرعوه من خلالها غصص المنون. وخلا جميع الجهات التي حولي فإنّ أورشليم تقيّات جميع الساكنين فيها إلى بوابة الجنّازة التي تؤدي إلى جمونيكه، وأكتفتني هيئة الخراب والتحسر، وأنضمّ حرسى إلى الخيالة وقائد المائة لإظهار ظلّ القوّة بأذنين الجهد لحفظ النظام. فصرت وحيداً منفرداً. وناجاني فؤادي بأنّ هذه الأمور الحاصلة الآن هي من متعلقات الآلهة وليست من متعلقات إنسان. وسمع صياح وصراخ عال من الجلجثة محمولاً على الرياح منبأً بكرب لم يطرق أذن إنسان مثله من قبل، فنزلت سحب مظلمة معتمة على أجنحة الهيكل استقرت على المدينة وكأنها سترتها بحجاب. وكانت العلامات التي ظهرت في السماء والأرض هائلة مخيفة، حتّى صاح ديونيسيوس الأريوباغي قائلاً: إمّا أن يكون خالق الطبيعة متألّم أو أنّ العالم أخذ في التمزّق.

وفي الساعة الأولى من الليل خلعت ردائي ونزلت إلى المدينة وتوجّهت إلى بوابة الجلجثة، وكان قد مضى الأمر وتمّت الذبيحة. وعادت الجماهير، وإن كانت هانجة مائجة إلا أنّه كان يلوح على وجوههم الكمد واليأس واشتغال البال، لأنّه اعتراهم التحسر والفرح ممّا شاهدوه. وكذلك رأيت فرقتي الرومانيّة مرّة وعليها هيئة الاكتتاب. وغطى رافع اللواء صورة النسّر (وهي علامة علم الرومانيين)، علامة على الحداد والغم. وكان بعض العساكر يهمسون بعض ألفاظ غريبة لم أفهم معناها. وكان البعض الآخر يروون عجائب وغرائب تكاد تشبه الغرائب التي كثيراً ما أصابت الرومانيين

بإرادة الآلهة. وكانت تقف أحياناً زمر من الرجال والنساء ساكنين باهتين موجّهين أنظارهم إلى جبل الجلجثة منتظرين طروء أمر آخر.

فرجعت إلى كرسي القضاء كاسف البال كثير التفكير والبلبال. ولما صعدت السلام التي كانت لا تزال ملوثة بدم الناصري، شاهدت رجلاً هرمًا في حالة الاستغاثة والتوسّل، وكان خلفه جملة من النساء باكيات، فألقى نفسه عند قدمي وبكى بكاء مرًا. ولعمري إنّه يوجعني ويؤلمني رؤية رجل هرم يبكي، فقلت له بلطف: يا أبي، من أنت وما هي طلبتك؟ فأجاب قائلاً: أنا يوسف، من أرماتا أتيت متعطفاً حضرتكم وأنا جاث على ركبتني أن تأذن لي بدفن الناصري. فقلت له: قد أجبت طلبك. وفي الحال أمرت مانيلوس أن يأخذ بعض العساكر معه ليلاحظ ويباشر دفنه لنلا يتعرّض أحد له.

وبعد أيام قليلة وجد القبر فارغًا، وأذاع تلاميذ يسوع في أطراف البلاد وأكنافها أنّ يسوع قام من بين الأموات كما تنبأ. فبقي عليّ القيام بهذا الواجب وهو إبلاغ جلالة الملك هذه الحوادث المكثّرة.

وبناءً عليه بادرت بتحرير هذا. ولم أنته من تحرير هذا البلاغ إلا وبزغ نور النهار. وفي هذا الوقت طرق أذني صوت نغير يضرب بنغمة ديانا، فوجّهت نظري نحو بوابة قيصر، فشاهدت فرقة من العساكر وسمعت من عليّ بعد أبوابًا تضرب سلام قيصر. فاتّضح لي أنّها الإمدادات التي وعدتني الحكومة الرومانيّة بإرسالها، ويبلغ عددها نحو ألفي نفر من نخبة العساكر الذين مشوا طول الليل ليتيسّر لهم الوصول بسرعة، فصرخت فارغًا يديّ: قد قدر وقوع هذا الإثم العظيم، ولو وصلت العساكر لما حصل ما حصل، ولكن هل تقول أنّ العساكر وصلوا اليوم لمنع حدوث فعلة البارحة؟ فتبّأ لهذا الدهر الغدار الذي يعبث بأحوال البشر. ولعمري لقد صدق ما صرّح به الناصري وهو معلق على الصليب: "قدّ تم".